جامعـــــة مصطفى اسطمبولي معسكـــــر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

تخصص : أدب جزائري

الرواية الجزائرية في ضوء متغيرات الواقع وقضايا المجتمع : رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري أنموذجا

إعداد الطالبة :

قربوص دليلة

إشراف :

الدكتور شويرف مصطفى

أعضاء لجنة المناقشة

د.شريط سنوسي	أستاذ	جامعة معسكر	رئيـــسا
د,شويرف مصطفى	أستاذ محاضر أ	جامعة معسكر	مشرفا
د. بوزيدي محمد	أستاذ محاضر أ	جامعة معسكر	مناقشا
د.خليفي سعيد	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي غليزان	مناقشا
د.سعيدي محمد	أستاذ محاضر أ	جامعة مستغانم	مناقشا

السنة الجامعية : 2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

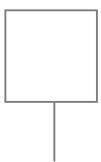

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين .....

إلى زوجي وابنتي قطر الندى هديل .....

إلى كل إخوتي .....

إلى كل الذين أحبوا لي الخير وشجعوني عليه .....

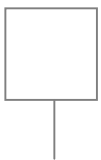

الشكر

الشكر لله الذي وفقنا وأعاننا ...والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا

...سبحانه نعم المرشد و نعم المعين ....

شكري موصول إلى أستاذي المشرف الدكتور شويرف مصطفى على إشرافه على بحثي و حسن توجيهه ونصحه والثقة التي منحني إياها...

إلى كل من مد لي يد العون من أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها....

كما لا أنس بالشكر أفراد عائلتي الكريمة و إلى كل من أعانني ولو بكلمة طيبة .....

قربوص دليلة

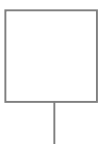

مقدمة

تعلقت الرواية الجزائرية منذ نشأتها إلى اليوم بالواقع الاجتماعي الجزائري فكانت ترجمانا صادقا له، إذ انعطفت عليه ناقلة لنا تحولاته و محللة لأزماته ابتداء من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التسعينيات مرورا بالمرحلة السبعينية (الفترة الاشتراكية) و قد شهدت الرواية الجزائرية في هذه المراحل تراكما كميا لافتا من حيث عدد الروايات التي تم صدورها، فقد امتدت التجربة الإبداعية الجزائرية في العقود الأخيرة خاصة لتحتضن مساحة خصبة في خريطة الثقافة العربية، و قد برزت الرواية في مقدمة الأشكال الأدبية، كما كشفت التجربة الروائية الجزائرية عن وعي تاريخي و حداثي يستجلي الحاضر من رحم الماضي دون الانفصال عنه، عبر البحث في القضايا الشائكة التي هزت حقيقة الواقع الجزائري، و الغوص في مختلف الصراعات التي خلفتها تراكمات الماضي و الحاضر.

لقد استمرت الرواية الجزائرية في التأسيس لمشروع حداثتي مفضلة المرجعية الاجتماعية و التاريخية، و على هذا الأساس فإننا سنحاول دراسة علاقة الخطاب الروائي الجزائري بمتغيرات الواقع و قضايا المجتمع الجزائري، و ذلك في إطار تقديم مقاربة للمتن الروائي و استقراء علاقة الرواية بالواقع الاجتماعي للجزائر

ومن أجل تناول أطراف الموضوع في إطار بحثي أكاديمي فقد ارتأينا أن تكون إشكالية الدراسة فيما يلي :

كيف تناولت الرواية العربية الجزائرية منذ نشأتها أهم القضايا والأحداث التي مر بها المجتمع الجزائري، وما مدى تجسيد الواقع المعاش في الكتابة السردية الجزائرية ، ومن جهة أخرى كيف أثر هذا الواقع وهذه القضايا التي سايرها المجتمع في رقي و تنوع الإبداع الروائي الجزائري.

إن البحث في الواقع الجزائري و علاقته بالخطاب الروائي الجزائري يجعل من الضروري الانفتاح على مختلف النصوص التي ارتبط ظهورها بمتغيرات الواقع، خاصة و أن الرواية الجزائرية تعد أحد المراجع التي أرخت لكل الأحداث التي مرت بها الجزائر، من هنا فقد ارتأينا أن يكون تطبيقنا العملي حول أحد هاته الروايات التي عالجت أهم القضايا المرتبطة بالواقع الجزائري، ألا و هي **رواية القلاع المتآكلة** و التي تعتبر مدونة سردية يمكن من خلالها الكشف عن علاقة الرواية بالواقع الجزائري و ذلك كونها رواية تمتزج مع الراهن، حيث تناولت من خلال أحداثها الحياة الاجتماعية و الفكرية والسياسية لفترة زمنية عاشها و عايشها المجتمع الجزائري.

لقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج البنيوي التكويني، و ذلك لما يتيحه لنا هذا المنهج من حرية في المزاوجة بين العمل الأدبي كبنية سردية و بين الواقع الذي يؤثر فيه، أي أنه يجمع بين المضمون الاجتماعي و الخصوصية الأدبية، ضف إلى ذلك أن من أهم المجالات التي يستطيع الكاتب تجسيد هذا المنهج فيها هو الرواية، فهو قادر على كشف خصائص النص، كما أنه يسمح لنا بالكشف عن الدلالة الإيديولوجية للنصوص الروائية التي نستنتجها انطلاقا من الواقع ، كما يحاول الوقوف على مختلف الأنساق الفنية و الجمالية التي تنتظم من خلالها تلك الدلالة الإيديولوجية.

و للوصول إلى الهدف من هذا البحث، ارتأينا تقسيمه إلى ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة و مدخل، حاولنا من خلاله التمهيد للموضوع باستعراضنا لنشأة الرواية العربية في الجزائر ّ، بعد ذلك عمدنا إلى الفصل الأول حيث استقرأنا من خلاله تاريخ الجزائر وواقعها في فترة السبعينيات، و ذلك من خلال دراستنا للمجال الاجتماعي و السياسي و الثقافي ، تطرقنا بعده إلى دراسة علاقة الرواية الجزائرية بواقع الجزائر في نفس الفترة التي كانت جل مواضعها تتصف بهيمنة الخطاب السياسي الإيديولوجي على المحاولة الإبداعية. أما عن فترة الثمانينيات و هي الفترة التي تراجعت فيها الآراء و تغيرت الأهواء، و كان هناك توضيفا للواقع و لكن بطريقة مغايرة، حيث أن استثمار الموروث السردي كان يضفي على النص الروائي خاصية جمالية متميزة، لنختم هذا الفصل بالتعريج على فترة التسعينيات و التي شهدت أزمة حرجة و دوامة غرق فيها الشعب الجزائري، حاولت روايات هاته الفترة رصد مختلف الخلفيات التي مهدت لاندلاع العنف كما صورت أبشع الصور و المناظر للفترة .

انتقلنا بعدها إلى الفصل الثاني، حيث وقفنا عند أهم القضايا التي شغلت مساحة لا بأس بها داخل المتن الروائي، بدءا بقضية المرأة باعتبار أنها نصف المجتمع و هي المتضرر الأكبر من تصدع، إضافة إلى قضية المثقف باعتباره ممثل النخبة المثقفة فإنه كان دائم الخطر خاصة في فترة التسعينيات، ضف إلى ذلك قضية العنف بين المتطرف و السلطة حيث حاولنا استقراء واقع العنف في الجزائر و تفسير الأزمة التي مرت بها البلاد.

أما عن الفصل الثالث فقد كرسناه لإجراء الدراسة التطبيقية و إسقاط ما تم بحثه في الجانب النظري على رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري، بحثا منا عن تجليات الأزمة الجزائرية، و القضايا التي تناولتها الرواية من خلال دراستنا للبنية السردية لهاته الرواية .

لقد واجهتنا أثناء قيامنا بهذا البحث العديد من الصعوبات نذكر منها :

- طبيعة الموضوع التي تتشابك معه مجالات عديدة، إذ كان لزاما علينا التعريج في مطالعتنا و قراءاتنا لكتب في فنون شتى منها السياسة، التاريخ وعلم الاجتماع.
- حداثة الموضوع و حساسيته خاصة تلك المرحلة الحرجة التي مرت بها البلاد، ألا و هي مرحلة الأزمة.
- صعوبة الموضوع من حيث عدم قدرة الباحث على لم شتات و أطراف البحث في إطار واحد، حيث كان من الصعب جدا التنسيق بين مباحث و فصول الدراسة.

لقد كان اعتمادنا في هذا الموضوع على مراجع متنوعة منها الرواية السياسية لطه وادي ، الرواية و الإيديولوجية في المغرب العربي لسعيد علوش، في نظرية

الرواية لعبد المالك مرتاض، سوسيولوجيا الديمقراطية و التمرد لعنصر العياشي، بنية الشكل الروائي في الجزائر لحسن بحيراوي، إضافة إلى مراجعات الأدب الجزائري لمخلوف، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف لأمنة بلعلى، إتجاهات الرواية العربية في الجزائر لواسيني الأعرج عامر. كما لم تخل من الإحالات على بعض الكتب المتخصصة في علم التاريخ وعلم الإجتماع والفلسفة على اعتبار أن طبيعة الموضوعة المتعدد الجوانب قد فرضت علينا الاعتماد على هذا النسق الذي جمع في ثناياه علوما شتى.

الدراسات السابقة :

هناك مجموعة من الدراسات الشبيهة بموضوع بحثنا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- ✓ سعاد عبد الله العنزي، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة .
- ✓ إبراهيم عباس، الرواية المغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي.
- ✓ أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية، المفهوم والسياسة.
- ✓ بشير بويجرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1979-1986.
- ✓ حسن بدراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء ، الزمن، الشخصية:

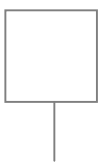

مدخل

أنجبت الكتابة الأدبية المرتبطة بمرحلة النهضة وما بعدها نتاجا جديدا أفرز فتنة القرن العشرين والواحد والعشرين، وأصبح ملاذا من رغب من المبدعين في اقتحام عوالم الانبعاث والتجريب، باعتبارهما عاملين للتغيير والارتقاء في منزلة الأدب والأدباء، هذا التغيير الذي ساعد على انتعاش جو الإبداع في مجال السرد .

ولقد مثلت الرواية هذا النتاج الجديد وذلك بارتباطها بمرحلة التحول، إذ لم تتحقق الرواية باعتبارها حسا أدبيا وتتميز بأشكالها الخاصة في الأدب الغربي والعربي إلا في العصر الحديث، ذلك أن مصطلح الرواية ارتبط بظهور الطبقة الوسطى وسيطرتها في المجتمع الأوروبي . وقبل أن نسترسل في الحديث عن نشأة الرواية لابد لنا من وقفة تعريفية لفن الرواية لغة واصطلاحا.

1- الرواية لغة :

عند رجوعنا إلى القواميس والمعاجم العربية نجد أن لفظ رواية يدل على نقل الماء وأخذه كما يدل على نقل الخبر واستظهاره.

جاء في لسان العرب ما نصه[1] :" قال ابن سيده في معتل الياء : روي من الماء بالكسر ومن اللبن يروي ريا، وتروى وارتوى، وفي الحديث والشعر يرويه رواية، وترواه ويقال روى فلان فلانا شعرا، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه. قال الجوهري رويت الحديث والشعر رواية فأنا راو في الماء والشعر من قوم رواة، ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته "

وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي[2] :"روي من الماء واللبن تروى وارتوى، وروى الحديث يروي رواية و ترواه وهو رواية للمبالغة "

من الملاحظ جليا عند النظر في التعريفات السابقة فإننا نجد أن دلالة كلمة الرواية تفيد في شقها اللغوي معنى مجموعه عملية الانتقال والجريان والارتواء.

2-الرواية اصطلاحا :

يرى بعض الباحثين منهم عبد المالك مرتاض أن تحديد مفهوم الرواية في جانبه الاصطلاحي ليس بالأمر الهين نظرا لتطورها المستمر، إلا أننا سنحاول إيراد بعض التعاريف لها .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، إنتاج المستقبل للنشر الالكتروني ، بيروت ، 1955 ص 1788 .

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8 ، بيروت ، لبنان ، ص 1426.

فقد جاء في معجم المصطلحات لفتحي إبراهيم أن الرواية هي " سرد قصصي نثري، يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البورجوازية، وما صاحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية " [1] والرواية عند عبد المالك مرتاض " عالم شديد التعقيد متناهي التركيب متداخل الأصوار ، إنها جنس سردي منثور " [2] ، وعليه فإن الرواية هي جنس من الأجناس الأدبية متميز عن غيره " تمتد صلته بما يسبقه من الأنواع الأدبية الأخرى مثل الملحمة والسيرة والحكاية .....نشأ بسبب ظروف حضارية خاصة بالمجتمع الأوروبي، وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن الشكل الروائي هو شكل جديد أخذ سمة واقعية " [3] وقد أصبحت الواقعية فيه سمة تمايز وتطور.

وإذا ما تعمقنا في مفهوم السرد، فإننا نجد أن السرد إنما هو الانطلاق من بداية نحو نهاية معينة، يتم في داخله فعل القص أو الحكي من جانب الراوي، إذ يتضمن السرد الوقائع والأحداث التي تخضع لنظام معين فكذالك الرواية " إنما هي سرد للأحداث والشخصيات وعلاقات معينة، تحكمها مجموعة من الروابط السردية، وبالتالي لا يمكن الدخول إلى عالم الرواية إلا انطلاقا من الرموز التي يشكلها السرد ، ويشترط لهذه الرموز أن تكون خاضعة لنظام يكشف عن إيديولوجية النص وكيفية تواصله مع الواقع، فيصبح السرد عبارة عن نظام من التواصل وليس مجرد عرض للأحداث "[4]

من خلال ما سبق نلاحظ أن الرواية تمتاز بخصائص ومميزات تميزها عن باقي الأجناس الأخرى، فهي سردية، قصصية، نثرية، شمولية في طرح مواضيعها، تعبر عن الفرد أو الجماعة أو حتى عن الظواهر. ترتبط بالمجتمع من خلال جانبها الموضوعي أو حتى الجمالي الفني فهي تنطلق من الواقع اليومي، وهي " أقرب فن أدبي إلى الحياة كما يختبرها الناس في الواقع ،فعلى الصعيد اللغوي، وبالرغم من تعدد مستويات اللغة عند الروائيين، واختلافها من كاتب إلى آخر فهي أقرب إلى حياة الناس اليومية إذا ما قيست بلغة الشعر "[5] .

فالرواية لا يمكنها أن تتخذ من الحياة البشرية مادتها الوحيدة، إذ لو فعلت ذلك لأصبحت مجرد مقالات ووثائق تحفظ للتاريخ، بل عليها أن تخضع هذه المادة

---

[1] فتحي إبراهيم ،معجم المصطلحات ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، ط3 ، 1982 ، ص 176 .
[2] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، دط ، 1998 ، ص 25 .
[3] ينظر المرجع نفسه ، ص 27 .
[4] عبد القادر شرشار ، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص ، دار القدس العربي ، وهران ،ط1 ، 2006 ، ص 122.
[5] إبراهيم سعدي ، دراسات ومقالات في الرواية-منشورات السهل ، 2006، ص86.

لشروط تجعلها تحمل صبغة جمالية، فهي فن سردي له مقتضياته وقوانينه، يجعل منها الأديب تجربة جمالية للحياة.

نشأة الرواية :

1- الرواية الغربية :

ارتبط ظهور الرواية الغربية ارتباطا وثيقا بالطبقة البورجوازية، التي مالت إلى تصوير الواقع والمغامرات الفردية لأصحاب هذه الطبقة، وعلى هذا الأساس نرى أن الرواية الغربية قد بدأت في أوروبا في عصر التنوير (القرن 18) في فرنسا، عاكسة لنمط معين من الحياة الاجتماعية لهذه الطبقة، وهذا هو عين ما ذهب إليه غولدمان ولوكاتش ومن ورائهما هيغل، حيث فسروا نشأة الرواية بناء على التجربة التاريخية للغرب " فتفاعلات العصر الحديث، وظهور الرأسمالية، واقتصاد السوق، أثرت في نشأة الرواية من جهة أنها وضعت تحت تصرف الأدب مادة جديدة من العلاقات الإنسانية الجديدة، ومن جهة قضت على مظاهر التعبير الملحمي الذي كان يقوم على تصوير التوافق بين البطل والعالم، وبه استبدلت نثرا سرديا يصور عزلة الفرد وخصوصيته الذاتية وهو يكافح في الم منحط " [1] . وتبعا لهذا التفسير نلاحظ أن الرواية نشأت نتيجة للتطورات الحاصلة داخل المجتمعات الغربية " فقد اضطر الروائيون إلى خوض غمار صراعين : الأول ضد عبودية الإنسان في المجتمع الإقطاعي، والثاني ضد تدهور الإنسان في المجتمع الجديد وقد اتسم الأسلوب الجديد بالواقعية الفنتازية واحتفظت الرواية داخله بالحقيقة الاجتماعية " [2]

وبذلك فقد اكتسبت الرواية في منتصف القرن العشرين الريادة، فكانت أوسع أزياء التعبير الأولية انتشارا، وبينما كانت وسيلة للتسلية ، وإشباعا سهلا للمخيلة والعاطفة أضحت تعبر اليوم عن القلق والسرائر، والمسؤوليات التي كانت فيما مضى موضوع الملحمة والتاريخ والبحث الأخلاقي ."[3] إذن فالرواية هي نسق جديد، اعتلى الصدارة في العصر الحديث لمميزاته ولخصائصه، فمرونته وحركيته وحريته واتصاله بالواقع الإنساني بخاصة أكسبه شرعية كاملة وجعلته نوعا أدبيا احتل المرتبة الأولى في أدبنا الحديث.

---

[1] عبد الله إبراهيم ،السردية العربية الحديثة ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط2 ، 2000 ص65

[2] محمد ساري ، الأدب والمجتمع ، دار الأمل للطباعة والنشر ، دت ،دط ، ص23.

[3] رمألبيرس ، تاريخ الرواية الحديثة ترجمة جورج سالم ،منشورات البحر المتوسط ، بيروت ، باريس ، ص5

الرواية العربية :

وإذا ما أمعنا النظر أيضا في الرواية العربية نجد أنفسنا أمام طرفين أحدها يرى أن للرواية جذورا عربية، وهي متمثلة في ما جاءنا مبثوثا في كتب الجاحظ وابن المقفع ومقامات الحريري، في حين يرى الطرف الثاني خلاف ذلك أمثال الطاهر وطار الذي صرح بنفي ذلك ومقاطعة هذا القول .

وعليه فقد كان انتشار الرواية متأخرا في الوطن العربي، لكنه سرعان ما بدأ بالتطور السريع وقد كان هذا التطور نتيجة لتطور وحركية الأحداث والأوضاع السائدة في الوطن العربي ، ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن البداية الفعلية للرواية العربية بدأت في الارتباط بالواقع والالتفاف حول المجتمع بسبب التحديات الحضارية والحركات السياسية والتطور الإيديولوجي أي عصر النهضة . إذ تضفي الرواية على الواقع عناصر ليست منه، يذهب بها إلى المبالغة ليستعيد الوقائع منفعلا و يخلق صورة جديدة لها، و من هنا فإننا نثبت أن الرواية ليست نقلا للواقع لتكون وثائق شاهدة وإنما نقل للواقع بشروط وقوانين تضفي على العمل السردي الصبغة الفنية والجمالية.

أما في الجزائر، فقد ساعدت الظروف التي مرت بها بعد الحرب العالمية على تطور الأدب، فمنذ عصر الانبعاث والإحياء بدأت بوادر النهضة الحديثة التي شملت كل المجالات بما فيها الأدب، فقد تطورت الأشكال النثرية القديمة كالرسائل وأدب الرحلات والمقامات والمناظرات، كما ظهرت أشكال نثرية جديدة كالرواية والقصة القصيرة والمقال .....الخ. ساهمت هذه الأشكال الجديدة في إحياء الأدب الجزائري وكانت شكلا من أشكال الوعي الإنساني، ووعاء تصب فيه أفكار ورغبات وأحاسيس الإنسان في صراعه مع واقعه ومحيطه.

شهدت الساحة الأدبية محاولات جادة في مجال الرواية في الثلث الأخير من القرن العشرين " فهي من مواليد السبعينات بالرغم من أن هناك بذور ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني " [1] فقد كان أول عمل في الأدب الجزائري يحمل سمات الرواية هو **حكاية العشاق في الحب والإشتياف** [2]، تبعته محاولات أخرى في شكل رحالات ذات طابع قصصي منها ثلاث رحالات إلى باريس [3] . كما ظهرت نصوص أخرى روائية توافرت فيها إلى حد كبير عناصر

[1] عبد الله الركيبي ، تطور النثر لجزائري الحديث 1870-1974 ، دار الكتاب العربي ، دط ، دت ، ص237
[2] صاحبه محمد بن إبراهيم سنة 1846
[3] سنة 1852م ، 1878م ، 1920م

السرد القصصي الروائي بنظامه الحديث والمتعارف عليه اليوم : " غادة أم القرى 1947م، الطالب المنكوب 1951م، الحريق 1957م وأخيرا صوم العرام 1967م "[1] إلا أن البداية الفعلية والفنية التي يمكن أن نؤرخ في ضوئها الزمن التأسيسي للرواية في الأدب الجزائري كانت مع ظهور نص ريح الجنوب لصاحبه عبد الحميد بن هدوقة التي " كتبها في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية فأنجزها في 05 نوفمبر 1970م تزكية للخطاب السياسي الذي يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته." [2]

علاقة الرواية الجزائرية بالواقع :

وإذا كان الشعر قد رافق كل التغييرات التي مرت بها الجزائر، فإن الرواية الجزائرية وإن كان ظهورها متأخرا إلا أنها سايرت الواقع الجزائري، ونقلت مختلف التغيرات التي طرأت عليه فقد " حظيت الرواية باهتمام العديد من الكتاب الروائيين، ولمعت أقلام جريئة في هذا المجال ....انصبت انشغالاتهم حول المجتمع "[3] وعليه فقد اهتمت الرواية الجزائرية أساسا بالموضوعات المتصلة بهموم الجماعة .

إن الحديث عن الرواية الجزائرية لا يمكن أن يكون معزولا عن الحديث عن الواقع السياسي والاجتماعي، وحتى الثقافي الذي عاشته الجزائر في العصر الحديث، والرواية تتأثر أيما تأثر بالواقع والظروف المحيطة بها خاصة وأن " الفترة التي برز فيها البعد الاجتماعي في الإبداع والمحاولات النقدية على حد سواء هي فترة السبعينيات " [4] وهي الفترة التي مكنت الكتاب الروائيين من التعبير الواقع، سواء بالرجوع إلى الثورة المسلحة أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة، التي طرأت عليها تغييرات سياسية واقتصادية وثقافية .

ومن أهم ما ميز الرواية الجزائرية خاصة في تلك الفترة الطرح والمغامرة ، كما أنها طبعت بطابع سياسي ، جمع الكاتب فيها بين الإبداع والسياسة .

الرواية الجزائرية والثورة :

---

[1] واسيني الأعرج ، مجمع النصوص الغائبة ، أنطولوجيا الرواية الجزائرية ، التأصيل الروائي ، دار النشر ، الفضاء الحر ، الجزائر ، 2007 .

[2] عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث تاريخيا ، أنواعا ، قضايا ، ....وأعلاما ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط5 ، 1965، ص168

[3] ينظر أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م ، ص56.

[4] جعفريا يوش ، الأدب الجزائري الجديد ، التجربة والمآل ، مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، وهران ، ص 115 .

ذكرنا آنفا أن الرواية الغربية والعربية بعامة والجزائرية على وجه الخصوص ظهرت في العصر الحديث، كما جاءت لتعبر عن روح العصر وخصائص الإنسان وأنها كانت مرتبطة أيما ارتباط بالواقع .

والرواية الجزائرية هي الأخرى عبرت منذ السبعينات عن روح الشعب الجزائري، وتوغلت في فضاءاته المعرفية باتساعها وعمقها. ومن المعروف عن الثورة الجزائرية أنها جاءت لتحرير الإنسان من كل أشكال الهيمنة والقهر، ولذلك ارتبط بها الأديب الجزائري ، فالقارئ الذي يطالع " الأدب الجزائري لا بد أن يلحظ فيه خاصية الثورة بوصفها هاجسا أساسيا يحرك عملية الكتابة أو هي تتحرك فيه، والواقع أن هذه الظاهرة لا تدعو إلى الغرابة ما دامت الجزائر حديثة عهد بحرب التحرير " [1] فمن الملاحظ أن مرحلة التأسيس كانت شديدة الالتصاق بمرحلة الثورة.

الرواية الجزائرية نتاج الثورة الوطنية :

لقد كانت الثورة الجزائرية رافدا من روافد الكتابة الروائية في الجزائر هو الأمر الذي أقره واسيني الأعرج [2]، فبالرغم من أن الرواية الجزائرية كانت متأخرة في ظهورها بالنسبة للأشكال الأدبية الأخرى، إلا أنها ولدت شديدة الاتصال والارتباط بأحداث الثورة ، فقد كانت جل موضوعاتها تدور حول أحداثها من أجل تشريح المجتمع الجزائري أيام حكم الإستدمار الفرنسي، ولأجل ذلك كان لابد لنا من الإحاطة بالأحداث التي مرت بها الجزائر إبان ثورة التحرير، و بخاصة في جانبها الاجتماعي والسياسي وحتى الثقافي، التي كان لها دور في ميلاد الرواية في الجزائر.

1-الوضع الاجتماعي :

لقد شهدت الجزائر عدة تحولات سياسية، تاريخية، اجتماعية وثقافية ساهمت في بلورة وعي الجماهير واستعادة الهوية الجزائرية ونيل الاستقلال والحرية.

فمنذ أن فرض الإستدمار الفرنسي سيطرته على الجزائر واعتبارها جزءا من التراب الفرنسي، أصبحت الجزائر تسير من قبل الإدارة الفرنسية من باريس، أما الإطارات التي تشرف على التسيير الإداري فكلهم من المعمرين المقيمين في الجزائر أو من الفرنسي، وخلال سنوات الاحتلال الطويلة دمر الاستعمار الفرنسي الجزائر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا، فتعرضت ثروات البلاد للنهب كما

[1] مخلوف عامر ، الرواية والتحولات في الجزائر ، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ، منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر ، دار الأديب للنشر والتوزيع ، دط ، دت ، ص20.
[2] ينظر : واسيني الاعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين ، ص 189 .

تعرض المجتمع الجزائري للفقر والأمية، وبعد الاستقلال ورث الجزائريون عن الإستدمار الغاشم كل مظاهر التخلف والركود في جميع مجالات الحياة.

2- الجانب السياسي :

لقد كانت سياسة فرنسا تستهدف محو الكيان الجزائري بكل مقوماته الحضارية، ولمواجهة هذا الغزو الفرنسي ظهرت المقاومة الوطنية التي اتخذت عدة أشكال، فتعرض الشعب الجزائري لأشد وأبشع أنواع الاستغلال والتنكيل والاضطهاد دفعت به إلى التكتل والوقوف في وجه الاستدمار .

وقد ساهمت المقاومة الوطنية في إيقاظ الحس القومي لدى الشعب الجزائري من ذلك : ثورة الفلاحين سنة 1871م التي كانت لها مساهمات عظيمة في تشكيل الفكر الاشتراكي، كذلك انتفاضة 1945م الجماهيرية التي حركت النفوس " ودفعت الشعب الجزائري إلى الاقتناع بأن الاستعمار سيظل استعمار يستهدف تذليل الشعب وتركيعه، وتصادفت هذه المرحلة مع ظهور أول رواية جزائرية مكتوبة باللغة العربية وهي رواية غادة أم القرى للكاتب أحمد رضا حوحو سنة 1947م " [1] وهذه الرواية قد عبرت بالفعل حينها عن وعي الشعب والجماهير الجزائرية .

ولم يقف الشعب الجزائري عند هذا الحد بل دخل في مرحلة جديدة، وحاول تجميع كل قواه الممزقة، إذ دخلت المقاومة الوطنية في نهج جديد حاولت فيه أن تدرك كل ما فاتها، ولم شمل الشعب والمساندة بين المقاومين ، كما سعت في الوقت نفسه إلى تنظيم مقاومتها، " وفي هذه الفترة ظهرت روايتان الأولى بعنوان الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي سنة 1951م والثانية الحريق لنور الدين بوجدرة سنة 1957م " [2] ، فالإستدمار هو في الحقيقة حروب ودمار وتخريب، وفي الجهة الأخرى مقاومة ونضال ، وبينهما تدور الأحداث والوقائع، جاءت الرواية شاهدة على ذلك.

" لقد بذل الاستعمار الفرنسي كل ما في وسعه من أجل القضاء النهائي على كيان الجزائر، وإيقاف لهيب المقاومة المسلحة والانتفاضات الشعبية التي عرفتها

[1] ينظر واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 17.
[2] المرجع السابق ص 17

البلاد منذ أن وطأت أقدام الغزاة الفرنسيين أرض الجزائر" [1]، وعلى النقيض من ذلك كان الشعب الجزائري في وعي تام للأحداث التي كانت تجري وقد حاول صد الاحتلال الفرنسي ، فتنوعت بذلك مقاوماته ما بين مقاومة شعبية مثل مقاومة حمدان خوجة ، وهي مقاومة وقفت في وجه البورجوازية الفرنسية ومقاومة مسلحة مثل مقاومة الأمير عبد القادر .

إن النتيجة التي نتوصل إليها هي أن الأدب الروائي في الجزائر قد خصص حيزا كبيرا للثورة وأحداثها وبطولات مجاهديها، كما وثق جرائم جيش الاحتلال الفرنسي.

الجانب الثقافي :

لقد عمل الاستعمار الفرنسي منذ الوهلة الأولى لحط رحاله على أرض الجزائر، على تحطيم الشخصية الوطنية ومقاومتها، بما في ذلك اللغة العربية، فقد حاول أن يجعل اللغة الفرنسية بديلا عن اللغة العربية وذلك بنفي رجال العلم، ومصادرة وسائل التعلم والمعرفة، وهدم المساجد والمدارس وبذلك " نزل ظلام دامس على الحركة الثقافية والفكرية والأدبية ومن صميمها الحركة التعليمية ، وقد اختفى الحس الوطني في الأدب كبطارية شحن، وطاقة دفع ....فضعف المستوى الأدبي في النهاية وشاعت فيه الركاكة وغزته العجمة في التعبير والتركيب " [2] ، غير أن هذا الوضع لم يبق على ما هو عليه بتطور الحركة الصحافية، وعودة رجال العلم إلى الوطن ومباشرتهم للتعليم ، كما ازداد وعي الجماهير وإدراكهم لأغراض المستعمر الدنيئة، وبرزت بذلك أقلاما أدبية ثائرة كتبت عن الثورة وعن ظلم المستعمر .

" إن هذا الوضع المأساوي نفسه بمختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية على وجه الخصوص هو الذي أنتج عملا أدبيا ربما كان رائدا وإن كان رديئا بشكله الروائي العام هذا العمل هو عبارة عن قصة طويلة بعنوان "حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمؤلفه محمد بن إبراهيم " [3] .

ونتيجة لما اعترى الحركة الأدبية من ضعف في التعبير واللغة وشيوع العامية وفشو العجمة، " نتيجة لذلك كله تأخر ظهور الرواية العربية في الجزائر . هذا الفن واللون الأدبي الصعب الذي يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر وأناة ، كما

[1] مصطفى بيطام ، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1968م ، ص 11.
[2] عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ،تاريخا ، أنواعا ، قضايا وأعلاما ، ص33.
[3] المرجع السابق ص 35..

يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به " [1]، ضف إلى ذلك كله أن الأوضاع التي سادت الجزائر أتناء الثورة حالت دون ذلك، خاصة الضروف القاسية والمزرية التي عاشها الشعب الجزائري أنذاك وعاشتها الثقافة القومية في الجزائر كانت جد قاسية وصعبة .

ما نستنتجه من خلال ما سبق سرده وما كنا نريد إيصاله والإشارة إليه، هو أن الثورة الجزائرية كانت سببا في ميلاد الرواية العربية في الجزائر ، فجانبها المأساوي كان في حاجة إلى صوت قوي يحس النفوس وينشر أفكارها بين أفراد المجتمع ، فكانت الرواية بذلك حاملة لهم الإنسان الجزائري أيام مقاومته للاستعمار الفرنسي، وتشيد ببطولاته وأفعاله الثورية، ومن ذلك اكتسبت أهميتها إلا أنها تعالج قضايا هامة وجوهرية ألا وهي قضية الكفاح المسلح من أجل الحرية والاستقلال .

إن من [32]أهم النقط التي أردنا أن نلفت إليها القارئ منذ الوهلة الأولى في هذا المدخل هي :

✓ أن السرديات الحديثة قد بدأت رحلتها الشاقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وذلك بانهيار النسق التقليدي في الثقافة الموروثة، وبتفكك هذه السرديات القديمة ، وانكسار أسلوبها المتصنع في التعبير ظهرت الرواية وهي لب السرديات الحديثة، وقد أخذت الرواية شرعية كاملة كنوع أدبي احتل الصدارة في أدبنا الحديث.

✓ وقد وافق هذا التطور في مجال السرديات تطور في مجال النقد، فقد تطورت حركة النقد وظهرت مناهج نقدية معاصرة سايرت التطور الإبداعي، وقد برز في الساحة النقدية المنهج الاجتماعي خاصة، وذلك مرده ببساطة إلى حضور الجانب الاجتماعي في الأعمال الأدبية من ذلك الرواية، وفكرة المنهج الاجتماعي" تنطلق من النظرية التي ترى أن الأدب ظاهرة اجتماعية وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه وإنما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها " [4]

✓ تتميز الرواية بميزة الانفتاح اللانهائي على الواقع، وهو ما أعطاها حرية الحركة والتعبير، والرواية كانت ولا زالت منذ نشأتها تغرف من معين واحد وهو الذاكرة الاجتماعية، فقد بدأت في أوروبا وجاءت حاملة لرسالة جديدة ألا وهي التعبير عن روح العصر والحديث عن روح الإنسان، وكذلك هو الحال بالنسبة

[1] ينظر ، عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث ،تاريخا ، أنواعا ، قضايا وأعلاما ، ص40.

2

3

[4]بسام قطوس ، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، ، دار الوفاء الدنيا الطباعة ، الإسكندرية، مصر ، 2006 ، ص65

للرواية في الوطن العربي، فقد جاءت للتعبير عن الواقع وعن الإنسان، والرواية الجزائرية هي الأخرى نشأت متصلة بالواقع السياسي المضطرب بعد الاستقلال فمنذ مرحلة التأسيس والرواية في الجزائر تساير الأوضاع والتغيرات، إذ يلاحظ عليها مدى تركيزها على الصراع الطبقي بين الأنا الوطني والآخر المستعمر، إذ كانت تغرق في الهم الاجتماعي ، فقد فرضت الظروف المحيطة بالروائي الجزائري تبني الاتجاه الواقعي وذلك قصد مقاربة الوقائع التاريخية .

✓ قامت الرواية منذ نشأتها بوظائف مختلفة منها تلبية حاجات التلقي، كما أنها ارتبطت بقيم نبيلة تخدم الإنسانية وهو ما جعلها تبقى نابضة بالحياة ، تفرض حضورها على المتلقي ، كما أن لها دورا كبيرا في " رصد التدفقات الوجدانية للإنسان ورسم استراتيجياته الفكرية والجمالية ، كما أصبح يقترب من الإطناب، الإدعاء أن الرواية قد بلغت شأوا كبيرا من الالتفاف حول الإنسان قصد احتواء جل همومه واهتماماته بفضل توفرها على وسائل فنية وجمالية "[1] فالنص الروائي يستطيع تجسيد البنيات الاجتماعية بشكل أجلى من خلال بعده النثري، فمن خلاله يمارس الروائي رؤيته للعالم الاجتماعي بكل تفاصيله .

[1] بشير بويجرة محمد ، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1970-1986 ، منشورات دار الأديب ، وهران الجزائر ، 2008 ، ص 02

الفصل الأول
الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع

عندما نستقرئ تاريخ الجزائر، فإننا سنقف على حقائق مريرة وطويلة عاشها الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، فقد شهدت الجزائر منذ الاحتلال -1830م - ظروفا خاصة تختلف عن تلك التي عاشتها المجتمعات الأخرى ، ذلك أن الاحتلال الاستيطاني الفرنسي قضى على جميع المعالم الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية ...الخ . فقد كانت " السياسة الفرنسية التي تبعتها فرنسا في الجزائر هي تحطيم كل الصلات التي تربط النشئ بماضيه لكي تسهل بذلك فرنسة الجزائر "[1] ، وقد سخرت فرنسا كل جهودها لتحقيق مبتغاها، وفي مقابل ذلك كان الوعي الوطني يتطور، كما تطورت وتيرة الأحداث السياسية، وفي خضم هذه التطورات والتحولات كان هناك وعي ثقافي يتابع الأحداث والأوضاع كما برزت نخبة من المثقفين والأدباء بما في ذلك الروائيين ، عبروا عن تجاربهم المريرة مع هذا المستعمر .

ومن هنا بدأت الإرهاصات الأولى للتجربة الروائية في الجزائر وأخذت تتطور، وقد اتسعت في العقود الأخيرة، لتأخذ حيزا كبيرا في خارطة الثقافة العربية، حيث أنها اعتلت الصدارة بالنسبة للأشكال الأدبية الأخرى، كما حققت إنجازات لافتة خاصة مع مطلع السبعينيات، بعد أن كانت ضيفا على الساحة الأدبية والإبداعية في الجزائر، وقد كشفت الرواية في الجزائر عن وعي تاريخي و حداثي يستجلي الحاضر من رحم الماضي دون أن ينفصل عنه، وذلك عبر التنقيب والبحث عن القضايا الشائكة التي هزت المجتمع الجزائري، والغوص في مختلف الصراعات التي خلفتها تراكمات الماضي الثوري، هذا الماضي الذي نتج عنه ظهور وتطور هذا الفن الأدبي في الجزائر، ولعل " العامل المنشط الذي دفع بالرواية الجزائرية إلى النضج الفني وأكسبها خصوصيتها، هو تلك التحولات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، وكذا الثقافية، وقد كانت استجابة النص الروائي على وجه الخصوص لتلك التحولات القاعدية مشروط بالمثيرات الثورية والوطنية " [2]

وقد دفع هذا الوضع الرواية في الجزائر إلى التطور الملحوظ و طبعت بطابع اجتماعي إلى " أن وجدت وهي تتطور بحركية موازية لحركية المجتمع المتغير بشكل دائم" [3] ، ولذا كانت النصوص الروائية في مجملها تساير أوضاع المجتمع

---

[1] سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، المكتبة العصرية ، صيدة ، بيروت ، 1997 ، ص47

[2] حسان راشدي، ظاهرة الرواية الجديدة في الجزائر ، مساءلات الواقع والكتابة ، رواية فوضى الحواس ، مجلة الآداب ، قسنطينة ، ط6 ، 2003 ، ص34.

[3] واسيني الأعرج ، الطاهر وطار : تجربة الكتابة الواقعية ، الرواية نموذجا ، دراسة نقدية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص1989 ، ص52.

الجزائري، وتنقل مختلف التغيرات التي طرأت عليه وهذا ما سنسعى إلى إبرازه فيما يأتي من مباحث .

المبحث الأول :
الرواية الجزائرية في فترة السبعينيات

الرواية الجزائرية في فترة السبعينيات :

بعد أن استرجعت الجزائر سيادتها ودخلت في جو من التغيرات القاعدية، مكنت السنوات الأولى التي أعقبت الاستقلال الروائيين الجزائريين من الانفتاح الحر على الرواية العربية المعاصرة ، وجعلتهم يلجئون إلى الكتابة الروائية للتعبير عن الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته، سواء بالرجوع إلى مرحلة الثورة أي الارتداد لزمن الحرب والغوص في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ميزت أيام الثورة، أو التعبير عن الحياة المعيشية الجديدة بكل تحولاتها وتطوراتها.

ومن هنا فقد كان لزاما علينا الوقوف عند تلك المحطة المهمة من تاريخ الجزائر لنستعرض مخاضها العسير إذ تعتبر فترة السبعينيات المرحلة الأكثر فعالية والفعلية في إنتاج الفن الروائي في الجزائر حيث " ظهرت تباعا عدة أعمال روائية مثل **ما لا تذروه الرياح ،وريح الجنوب** و **اللاز** بالإضافة إلى أعمال روائية أخرى " [1] ، وقد كان جيل السبعينيات هو الذي مهد الأرضية الروائية بفضل ربطه بين النضال الثقافي وبين النضال السياسي.

كما أن أغلب روايات فترة السبعينات حاولت أن تعالج مرحلة الثورة التحريرية للكشف عن الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عنها، فالروائي يقوم " بفرز ما يمكن أن يفهم ، وما يمكن أن ينسى للحصول على تمثيل الموضوع داخل الحاضر " [2] ، كما اقتربت بعض الروايات من الايدولوجيا قي سرد أحداثها وقد تعددت مواضيع الرواية العربية بعد الاستقلال، وتعددت اهتماماتها بدءا بالمشاكل الاجتماعية التي خلفها الاستعمار الفرنسي وصولا إلى الجهود المبذولة والمعتبرة التي بذلت بعد الاستقلال للرفع بالمستوى في جميع المجالات .

وقد ظهرت عدة اتجاهات للرواية في هذه الفترة ولكن الاتجاه الأكثر إتباعا عند الروائيين هو الاتجاه الوطني " وأهم أعلامه : **عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطار ، الأعرج واسيني، جيلالي خلاص،** أكد هؤلاء على ضرورة تبني الحل الاشتراكي للخروج من الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها المجتمع الجزائري " [3]

وعليه نقول أن الرواية الجزائرية قد كانت لها ولادة ثانية وذلك في مرحلة السبعينيات ، فكل ما حدث في الجزائر من تطورات منذ الثورة التحريرية إلى ما

---

[1] إدريس بودبية ، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ،منشورات جامعة قسنطينة ،ط1،2000 ،ص 39

[2] سعيد علوش ، الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي ، دار الكلمة للنشر ، بيروت ، د ط ، 1983 ، ص 27 21

[3] ينظر : بن جدو موسى ، الشخصية الدينية في روايات الطاهر وطار ، صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة عام 2008 ، دار الشروق للطباعة والنشر ، ص39.

بعد الاستقلال، والذي شمل جميع المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية، كانت الرواية تجسد كل هذه التغيرات وتكتب التاريخ، كون الرواية من أكثر الأجناس الأدبية احتواء للمعرفة الإنسانية في العصر الحديث " فكل ما في الحياة هو من اهتمامها فالنفس والمجتمع والمشاعر والتاريخ والماضي من الحاضر ومن الحياة " [1]. إذ يلتقي الروائي والمؤرخ في اعتمادهما على معطيات التاريخ ووثائقه من منابع مشتركة، ولكنهما يختلفان في كيفية التعامل مع المادة التاريخية، وأيضا في جانب الحرية المتاحة لكل منهما. إذ لا يمكن للخطاب الروائي أن يصبح تاريخا، فأي روائي حاول أن يرسم فترة من زمن التاريخ وأن يبرر وظيفة سياسية أو اجتماعية..الخ وجاء بغير الحقيقة التاريخية ولم يعبر لدى نهاية الأمر إلا عن إيديولوجيته هو أو آرائه غير الحيادية دون أن يكون بالضرورة قد عبر عن تلك الفترة إلا في إطار أدبي خالص " وعلى أية حال فلا يمكننا القول المطلق بأن الأدب هو سلسلة من الأعمال المنظمة حسب نسق تاريخي وأنه أجزاء متممة للعملية التاريخية، لكن في المقابل لا يمكننا أيضا استبعاد ما للتاريخ من تأثير على الكتابة وعلى العملية الإبداعية " [2].

واقع الجزائر بعد فترة الاستقلال :

منذ أن فرض الاستعمار الفرنسي سيطرته على الجزائر واعتبرها جزءا من فرنسا أصبحت الجزائر تابعة لفرنسا وتسير من قبل الإدارة الفرنسية، وخلال السنوات الطويلة للاحتلال الفرنسي دمر الاستعمار الجزائر كليا، ولم يترك لها متنفسا تتنفس به، فقد انهارت الجزائر وانهارت جوانبها سواء السياسية أو الاقتصادية أو حتى الثقافية والاجتماعية، من ذلك أنه بعد الاستقلال ورث الجزائريون عن الاستعمار كل مظاهر التخلف والانحطاط وشمل ذلك كل المجالات ، وقد واجهت الجزائر في بداية الاستقلال الكثير من المشاكل عرقلت خطى الجزائر، ففي الجانب الاجتماعي وجد آلاف العاطلين عن العمل في الأرياف والمدن، نقص في السكن وقطاعات الصحة ،كثرة الأحياء القصديرية، كثرة النزوح الريفي، وتعود هذه الظاهرة إلى عدة عوامل منها :" ظروف الحرب التحريرية وسياسة الإفقار التي مارسها المستعمر باستلائه على الأراضي الزراعية [....] الخ لكن هذه الظاهرة زادت حدتها خلال سنوات الاستقلال ....وقد أدت عمليات النزوح المتتالية إلى اقتلاع مئات الآلاف من سكان القرى و المداشر ليكتظوا في المدن الكبرى والمناطق الصناعية بحثا عن العمل وعن ظروف حياة أفضل " [3] ، وهذا

[1] نضال الشمالي ، الرواية التاريخية ، بحث في مستويات الحياة في الرواية التاريخية العربية ، ط1،2006،عالم الكتب الحديث ، ص109.

[2] عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية ، ص32

[3] ، عنصر العياشي ، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر ،دار الأمين للطباعة والنشر ، ط1، 1999، ص15

هو ما أدى إلى ظهور الأحياء القصديرية فنسبة السكان النازحين من الأرياف، كانت في تطور مستمر، بحيث لم تستطع المدن استيعاب هذا الكم الغفير من النازحين، كما انتشرت ظاهرة التفاوت الاجتماعي " وذلك ناتج عن سيادة نمط محدد في توزيع الثروة بين شتى شرائح المجتمع والفئات الاجتماعية، فإن بعض المؤشرات الخارجية للثراء والفقر قابلة للملاحظة المباشرة ، وتزايد مظاهر الثراء الفاحش والسريع بين أقلية من السكان يتشكلون في معظمهم من طاقم النظام السياسي وحاشيته " [1] .

أما على المستوى السياسي فقد كانت الحكومة المؤقتة في الجزائر عاجزة عن إدارة البلاد ، وقد وجدت مشاكل كثيرة منها عدم اتفاق بين الدولة والمجتمع، وهذا بحد ذاته شكل أزمة، فالتحولات السريعة التي شهدتها الجزائر منذ السنوات الأولى من الاستقلال كانت كفيلة بخلق خلل بين الحاكم والمحكوم، ذلك أن هذه التحولات ارتبطت بالسرعة، فكل ما جاء من أحكام كانت في مجملها في مرحلة تعسفية، وعشوائية تفتقد في معظمها إلى قاعدة موضوعية، ضف إلى ذلك " اتسام النظام السياسي منذ الاستقلال بالإقصاء والغلق، حيث سيطرت أقليات محمية على السلطة والثروة المرتبطة بهما، بفعل هيمنة الدولة على القسم الأكبر من النشاط الاقتصادي ومصادر الريع النفطي بالموازاة هناك خنق للحريات الفردية والعامة، وتضييق حرية التفكير والتعبير " [2] .

لقد خرجت الجزائر من حرب طويلة بتركة استعمارية استدمارية، كان على الجزائر حينها أن تبذل كل الجهود للخروج منها، إذ كان لا بد من إعادة بناء أسس جديدة للنهوض من جديد ، وهذا لم يكن بالأمر الهين، إذ كان لابد من إيجاد حلول سريعة للخروج من المشاكل المطروحة كالسكن، التعليم والصحة ....الخ ، وهذا هو عين ما سعت له الجهود آنذاك، وقد اقترحت في ذلك عدة حلول، فعلى الصعيد السياسي تم تجاوز عدة خلافات التي كانت سائدة آنذاك، كما تم انتخاب المجلس التأسيسي وانتخاب رئيس الحكومة، كما حددت مبادئ وأهداف النظام في ظل الاختيار الاشتراكي، أما على الصعيد الاجتماعي فقد فتحت المدارس أبوابها لأطفال الجزائر، كما تمت مكافحة البطالة وإقرار مجانية التعليم والصحة . أما على الصعيد الاقتصادي فقد تم استغلال الأراضي الزراعية واستعاد النشاط الصناعي حيويته، وذلك من خلال بعض المشاريع الصناعية وترميم المصانع التي خربها الاستعمار ...الخ.

---

[1] المرجع نفسه، ص 16

[2] عنصر العياشي ، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر ، ص17

لقد واجه الشعب الجزائري خاصة بعد الحرب العالمية الثانية تيارات فكرية وسياسية مختلفة " أدت إلى ظهور الإنسان الذي تكونت لديه معتقدات اجتماعية واقتصادية وفكرية ويرى ضرورة تطبيقها على الواقع " [1]،إن هيمنة الإيديولوجية الاشتراكية على الحياة الجزائرية عامة على خلاف البلدان العربية سياسيا واقتصاديا وثقافيا، أفرزت ثلاث ثورات هي الثورة الزراعية والصناعية، والثقافية، والمخططات التنموية ، وفي هذا الوقت بدأ الخطاب النقدي الجزائري ينفتح على خطابات أيديولوجيا خارجية **(لينين وماركس)** وأخرى أدبية نقدية **(لوكاتش وغولدمان)** " وبدأت تتعمق علاقة الأدب بالإيديولوجيا فظهر كم نقدي معتبر يتحرك في هذا الفضاء المنهجي على اختلاف الرؤى النقدية " [2]

وبحكم انحياز الخطاب السياسي الرسمي إلى اختيار الاشتراكية، كان الكتاب ذووا التعبير العربي يتأثرون بالفكر الماركسي، فكانت روايات فترة السبعينيات تستظل تحت مظلة ذلك الفكر .

الرواية الجزائرية وواقع الجزائر في فترة السبعينات :

إن البحث في فترة السبعينيات وعلاقتها بالخطاب الروائي، يجعل من الضروري الانفتاح على مختلف النصوص التي ارتبط ظهورها في هذه الفترة، ذلك أن أهم ما تحمله هذه المدونات هي ذكريات الماضي الأليم ومشكلات الحاضر آنذاك، كما أنها عكست تفكير وإحساس أصحابها، فقد كان هم الروائيين وقتها هو أن يأتي التاريخ شاهدا على حيثيات العصر ومفارقاته الواسعة، لقد " وجد الروائي نفسه بين فكي كماشة، صورة الماضي القريب وصدمات الواقع المتحول، فكان يلتفت إلى الماضي ليستحضر حرب التحرير، يسائلها طورا ويتلذذ بذكراها أطوارا، وهو بذلك يحن إلى ماض مجيد يستأنس به، وقد يوضفه من التراث الوطني مطية لتكريس الشرعية التاريخية والمحافظة على السلطة " [3].

بعد أن عصفت رياح الحداثة بالخطاب الروائي الجزائري، وبلغت به مستوى من الوعي الفكري والنضج الفني، منذ ريح الجنوب **لعبد الحميد بن هدوقة،** أصبحت الكتابة الروائية في الجزائر تعتمد على سلطة الواقع، المرجع المباشر لكل انطلاقة إبداعية ، وقد تميزت الرواية آنذاك بسمة الواقعية، كما تبلور الوعي النظري بالكتابة وإشكالاتها، لأن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية والانفتاح على أشكال جديدة من شانها أن تواكب موجة الحداثة . فتضافرت روافد الثقافة

[1] بشير يويجرة محمد ، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، منشورات الأديب ،ط2 ،2006،ص49 .
[22] يوسف وغليس ، النقد الجزائري المعاصر من أنسونية إلى الأنسية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2002، ص 39.
[3] مخلوف عامر ، مراجعات في الأدب الجزائري ،دار الأديب للنشر والتوزيع ، دت ، دط ، ص116.

الشعبية مع عناصر التراث الصوفي والخرافي، لتشكل مرجعية ثورية بمقومات الإبداع الفني المغاير مما جعل أفق الكتابة الروائية في الجزائر، تنفتح على فضاء التجريب الذي تحول إلى هاجس لدى المبدعين في رحلة البحث عن أشكال السرد الجديدة .

و حمل الكتابة الروائية في الجزائر للثقافة الشعبية جعل النص الروائي " يكتسي من خلالها بعدا اجتماعيا ونفسيا، يؤدي دوره في بث الوعي بين مختلف الشرائح الاجتماعية ،كما يأخذ منها الأديب وسيلة للتعبير عن آرائه المختلفة ورؤيته لقضايا الإنسان من حوله ثم يفسر بها ما يضطرب به المجتمع من أحداث ومشكلات، وتيارات فكرية وإيديولوجيا ....ويجد فيها متنفسا لآرائه التي قد لا يستطيع أن يجاهر بها بأسلوب مباشر " [1]، ومن هنا نقول إن الكتابة الروائية في الجزائر قد عانقت أحداث التقنيات الجديدة ، ووظفت التراث العربي رغم قصر تجربتها بالقياس إلى نظيرتها في العالم العربي .

وعليه فإن فترة السبعينيات هي فترة ازدهار الكتابة الروائية وقد تميزت هذه الفترة بهيمنة الخطاب السياسي الإيديولوجي في المحاولات الإبداعية، أو حتى في المحاولات النقدية، وقد كان التعبير آنذاك إما باستحضار حرب التحرير، وقد كان تناول مثل هذا الموضوع يختلف من كاتب لآخر، منهم من يتلذذ بالذكرى ومنهم من يجد فيه لذة الكتابة الروائية والإبداع الأدبي، أما الموضوع الثاني وهو البارز في الكتابة الروائية في فترة السبعينيات ذكر التحولات السريعة للوقت الراهن آنذاك بحيث " لم تنج هذه الفترة من شراك الخطاب السياسي، فلم يكن حضور البعد الاجتماعي مكثفا إلا بوصفه صدى لذلك الخطاب، الذي كان اشتراكيا على وجه التحديد، وكأن الكتابة الأدبية تتكئ مرة أخرى على الخطاب السياسي والاجتماعي لتكتسب شرعيتها الأدبية، ذلك ما يفسر شيوع القاموس السياسي الاجتماعي الذي ينتج من الفكر الاشتراكي عموما ومن الفكر الماركسي على وجه الخصوص "[2].

والحديث عن البداية الفنية الناضجة للرواية الواقعية في الجزائر هو الحديث عن روايات فترة السبعينيات بدءا بـ **عبد الحميد ين هدوقة** في روايتيه ريح الجنوب سنة 1970 [3] التي جرت أحداثها في الريف الجزائري، وهي حكاية أب إقطاعي يريد تزويج ابنته لرئيس البلدية بغرض المحافظة على أملاكه من المشروع الجديد

[1] بلحيا الطاهر ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين الجاحظية ، سلسلة الإبداع الأدبي ، 2000، ص40

[2] مخلوف عامر ، مراجعات في الأدب الجزائري ، ص120.

[3] ينظر عبد الحميد بن هدوقة ، ريح الجنوب ، المؤسسة الوطنية للكتاب،ط5، الجزائر

والمتمثل في الثورة الزراعية [1] إلا أن ابنته رفضت الزواج . لقد ربط **ابن هدوقة** هذه المرأة وحريتها من الإقطاعي بمعادلة إذ يقول " لا يمكن أن تتحرر المرأة والأرض بدون تغيير العلاقات الاجتماعية السائدة فالإقطاع لا يتمثل في الماديات وحدها بل هو قبل كل شيء مواقف معينة "[2] ومهما يكن فرواية **ريح الجنوب** عبرت عن وضع الريف في بداية السبعينيات متأملا كاتبها في تغيير جذري تجسد من خلال الثورة الزراعية .

يصنف **محمد مصايف** هذه الرواية ضمن الروايات الواقعية، فقد عرفت بالريف الجزائري الذي كان " في حاجة إلى التعريف أكثر مما كان في حاجة إلى اقتراح حلول لمشاكله الاجتماعية، وقد وفق ابن هدوقة في هذا التعريف حسب الدكتور محمد مصايف " [3] وفي مقابل ذلك يرى الدكتور **عمر بن قينة** أن رواية **ريح الجنوب** لصاحبها **بن هدوقة** إنما هي " تحمل واقعية بسيطة غير فاعلة ولا متحركة والأديب فيها أشبه بكاتب محضر في عدة مواقع ....ولم تتبن إيديولوجيا شيوعية في نقلها لمظاهر اجتماعية ، فقد تؤول كصراع طبقي ، وهي وإن لم تعالج قضية الثورة الزراعية حقيقة ونتاجا ، فقد عالجت أرضيتها وطبقتها وآفاقها من خلال محيطها وشخصياتها أنفسهم " [4].

وحسب رأي **بن قينة**، فإن الكاتب **بن هدوقة** في روايته هذه أراد موافقة النظام السياسي في الجزائر آنذاك، فلم يعبر الكاتب عن معاناة الفلاح ولا هو اقترح حلولا لمعالجة الواقع المر والمعيشة المتدنية لسكان الريف، وإنما لامس أرضية ومشروع النظام الذي شرع في تمهيد لعمل يحتمل فيه المخرج من معاناة الريف إذ تحركت الكتابة لدى **عبد الحميد بن هدوقة** وباركت هذا المشروع .

وقد استطاع **عبد الحميد بن هدوقة** في روايته أن يرسم بفنية متميزة العوامل النفسية الدفينة لدى الطبقة الإقطاعية، والتي مثلها أحسن تمثيل في شخصية الأب ابن القاضي وقد" أدان بها الإقطاعي، واعتبره الوجه الثاني للاستعمار. وقد يكون قصده من إعداد هذه الشخصية إعدادا فكريا حتى يتماشى وطرح قضاياه مع الواقع الريفي "[5] ، تطرح رواية ريح الجنوب عدة قضايا وليس قضية واحدة، فهي تطرح قضية الإقطاع والإقطاعية في الجزائر وتهدم مراكزها، ثم قضية الأجراء المسحوقين ماديا ومعنويا ، يضاف إلى ذلك قضية المرأة التي يناقش مصيرها في

---

[1] نظام تبنته الجزائر عقب المرحلة الاستعمارية ، يهدف إلى تشجيع النشاط الزراعي وتوزيع الأراضي على الفلاحين مع دعم الدولة لهم .

[2] أحمد فرحات ، أصوات ثقافية في المغرب العربي ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، 1984 ، ص 89

[3] ، عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث تاريخيا وأنواعا وقضايا ..وأعلاما ص201 .

[4] المرجع السابق ، ص203.

[5] بشير بويجرة محمد، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية ، ص16 – 17.

غيابها وهي تكافح ضروبا من الإذلال .....في مجتمع يتعرض لتغيرات سريعة ذات طابع اقتصادي وثقافي واجتماعي " .[1]

يرى عمر بن قينة أن رواية **ريح الجنوب** "تنفست عند فراغ المؤلف من كتابتها في ظروف برزت فيها الثورة الزراعية كحقيقة تاريخية، ذات جذور في المجتمع الجزائري، وأصبحت أكثر ضرورة وتأصيلا، ثم أبعد عمقا وأشد تنظيما قانونيا، وكانت النفوس تتهيأ لاستقبال ميثاق الثورة الزراعية الذي صدر سنة 1971م لتكون الإجراءات صارمة عنيفة مخيفة للإقطاعيين وضروب الإقطاعية مبشرة ببداية النهار كما يتمناها الجميع " [2].

أما مخلوف عامر فهو يرى أن الإيديولوجية في أعمال ابن هدوقة هي حاضرة لاشك إلا أن هذا الحضور لا يأخذ منحى تحزبيا صارخا، ولا يواجهك الأنا مسقطا على نحو مفضوح بل تتحرك الشخصيات لتبدو معبرة عن نفسها على نحو واقعي انتقادي يقوم على فكرة التناقض بين مكونات المجتمع الجزائري .

إن " الإيديولوجيا النفعية تواجه علاقات الإنتاج في الريف على محورين، يتمثل الأول في الالتفاف حول القوانين الخاصة بالإصلاح الزراعي وعرقلة تجسيدها أو التحايل والتهرب لإفشالها ، أما الجبهة الثانية فتتميز مواجهة فكرية مع أنصار الجديد، والذين توحدهم رغبة في إصلاح الأوضاع الاجتماعية في الريف الجزائري " [3].

لقد بدأت الرواية الجزائرية تتطور فنيا تطورا إيجابيا سنة 1972م، أي بعد سنتين من ظهور ريح الجنوب وذلك مع رواية اللاز للكاتب الطاهر وطار، وهي تجمع ملامح من أشكال سلوك في واقع الثورة الجزائرية، وواقع ما بعد الاستقلال، وما أفرزه الوضع آنذاك من آفات مختلفة سياسية، ثقافية واجتماعية، "إذ يتمتع وطار بهاجس المغامرة الفنية وتطويره المستمر لأدواته والقدرة على تنويع بنيته الروائية ....تتدرج أعماله في سياقاتها المختلفة لتؤرخ لكل التحولات والسيرورات

---

[1] عمر بن قينة ، دراسات في القصة الجزائرية ، دار الأمة للطباعة والنشر ، دط ، 2009، ص199

[2] المرجع نفسه ص199.

[3] عمر عيلان ، الإيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، دراسة سوسيوسيميائية ، الفضاء الحر ، دط ، دت ، ص85.

2 [*] إ دريس بودبية ، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، ص 45.

*ينظر الطاهر وطار ،اللاز،الشركة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

الحاصلة في المجتمع الجزائري ، منذ الثورة المسلحة إلى الاستقلال مع التركيز على الألوان المحلية للجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية " [1].

هي رواية جعل صاحبها الثورة الجزائرية فضاء لروايته ، اختار لها *اللاز شخصيات مناسبة لبلورة الصدامات الإحتدامية . ولعل نموذج الطاهر وطار الذي أصبح من أبرز المؤسسين للإبداع الروائي الجزائري، من شأنه أن يقدم لنا حلا ميدانيا نستقرئ من خلاله التجربة الروائية الجزائرية خلال العقود الأخيرة، خاصة، وأن أعماله تندرج ضمن المضامين التي تؤرخ لكل التحولات التي شهدها المجتمع الجزائري منذ البداية مع الثورة التحريرية الكبرى التي عمل في صفوفها مناضلا ضمن حزب جبهة التحرير الوطني ، فكان شاهدا على مختلف التجاوزات والإخفاقات (أخطاء الثورة) ، وهو ما عبرت عنه رواية اللاز سنة 1972م التي جاءت لرواية الواقع من جديد بكل تفاصيله ليضعنا أمام الأحداث ، موظفا ملكته الإبداعية ، والكاتب في رواية اللاز وكأنه يقدم محاكمة صريحة للتاريخ , ذلك وأنها تقدم موقفا معارضا للبطولات السائدة فهي تعكس في صورة مختلفة تلك التناقضات الداخلية للسلوك الإنساني وما تحمله من تشويهات عميقة، وذلك لتأكيد حالة انتشار النفي والتمزق الذي تعيشه الذات المحبطة في مواجهة مصيرها وخيارات

فإلى جانب حضور التاريخ في رواية اللاز فقد عبر الكاتب أيضا عن التصورات الحاصلة على الساحة الإيديولوجية خلال مرحلة الثورة والتي كشفت توجهه الاشتراكي على اعتبار " أن الإيديولوجيا في الرواية تتضح من خلال المكون لمحتوى النتاج الروائي، ويقصد بالإيديولوجيا هنا تلك التي تشتغل بالحقل السياسي، أي التي تتجلى من موقف الأبطال وشخوص الرواية كل وفق انتمائه الفكري ورؤيته للواقع ودخولها في حالات تصادم " [2] ، ومن هنا يقف الروائي وراء شخوصه يخطط مواقفهم ويوجهها بما يخدم موقفه هو . " فالإيديولوجيا إنما هي نسق من الأفكار والآراء والمعتقدات...التي يبثها النص الروائي كذات هي بقدر ما تكون مستقلة، فإنها مخلوقة من خالق معين هو مبدع النص، وهذا النسق هو قناع لانتماء طبقي ولموقف من الصراع الطبقي " [3]، انطلاق من هذه الفكرة تتجلى علاقة الطاهر وطار بالايدولوجيا وبالفكر الاشتراكي ، ونلمح ذلك في معظم أعماله من خلال التزامه الشديد بالواقعية الاشتراكية فالظروف التي نشأ فيها تعد من أبرز

---

[2] إبراهيم عباس ، الرواية المغاربية ، تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط1 ، 2005 ،ص60.

[3] نبيل سليمان : فتنة السرد والنقد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2000 ، اللاذقية ، سوريا ، ص17.

عوامل تشكل الوعي الإيديولوجي لديه، خصوصا في الفترة التي شهدت فيها الجزائر كل التطورات , فلقد كشفت رواية اللاز عن حقيقة الواقع الإيديولوجي وذلك من خلال بناء الرواية إذ انطلقت من عمق الثورة التحريرية، ومخلفات الماضي الثوري بعد الاستقلال. كما ظل الطاهر وطار يلاحق المد الإيديولوجي ليكشف لنا في رواية الزلزال 1974م جانبا من الصراعات الطبقية التي خلفتها موجة الإقطاعية بقوانينها التعسفية و ممارساتها القمعية . وعليه فقد"اهتم وطار بمعالجة قضايا المجتمع وإشكالاته المعقدة من منطلق أن الفن ليس مجرد التعبير عن الواقع بل هو أداة فعالة لتغييره " [1] فاستلهم أفكاره من واقع الطبقات الكادحة وهموم الجماعة التي تحلم بالتغيير في ظل الصراعات الطبقية والإيديولوجية، التي كانت تمارس القمع والإلغاء لكل حركة تحررية، لقد "جاء أدبه ليحمل في أحشائه حلما جماعيا بالتغيير ويستبطن في ثناياه إرادة جماعية في التقدم فيشارك _ بالفعل _ في إيقاظ الضمير الجماعي " [2]لقد حمل الكاتب على كاهله قضية الالتزام كقيمة إنسانية وفنية تجسدها فكرة المسئولية ببعدها الاجتماعي والفني.

[1]واسيني الأعرج، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية في الأدب الروائي الجزائري ، دار الكتاب الحديث ، ط1، 14 ، 06 ، 1986 ، ص 31.
[2]المرجع السابق، ص 27.

المبحث الثاني :
الرواية الجزائرية في فترة الثمانينيات

لقد حمل الأدباء على عاتقهم مسؤولية المساهمة في تصوير مظاهر الصراع العنيف، الذي خاضه الشعب الجزائري لإثبات وجوده، وبخاصة الفترة التي تلت الاستقلال، حيث " شهدت هذه الفترة وحدها (السبعينيات) ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر من إنجازات فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله" [1].

إذ لم يكن ليحدث هذا النتاج الأدبي بمعزل عن التغييرات الجذرية التي ظهرت في تلك الفترة التي وصفت على حد تعبير الدكتور محمد بشير بويجرة بمرحلة المد الثوري والاندفاع الإيديولوجي التي كانت ما بين (970 م-1979 م) .

وقد سبق و أن ذكرنا أن هذه الفترة كانت بداية لظهور الرواية في الجزائر، التي كان ظهورها متأخرا ولكنها شهدت تراكما كميا لافتا، تدور مجمل مضامينه إما حول مزايا الثورة الاستعمارية، أو التغيرات الجذرية التي حصلت بعد الاستقلال من الثورة الزراعية إلى " الترويج للاشتراكية الايديولوجية، أو تمجيد الاتحادات والنقابات وفضلها على العمال والطلبة، والشبيبة والنساء، إلى غير ذلك من المضامين المرتبطة بالخطاب السياسي " [2] ، وفي هذه الحقبة التاريخية بالذات كان هناك تأثير بالغ في التوجيه نحو الإيديولوجية الاشتراكية، إيديولوجية السلطة التي كانت تستحوذ على الرأي العام من خلال ممارستها للحكم، وعلى هذا الأساس اتجه بعض النقاد إلى النظر إلى الرواية أو إلى " البعض من إنتاجنا الروائي على أنه يفتقر في مضامينه إلى الموضوعية والصدق الفني، لدى بعض مبدعيه الذين كانت لهم مصلحة أو إيديولوجية في الصراع الدائر عبر دهاليز الزمن الخارجي ، وداخل ممرات زمن الخلق " [3]، أي زمن الإبداع للنص الأدبي والنقد من جهة أخرى .

أما مرحلة ما بعد السبعينيات فهي مرحلة الهدوء والتريث وإعادة لكثير من المواقف والقضايا التي امتدت ما بين 1979م-1986م ، إذ في هذه المرحلة اختلفت الآراء، وتراجعت الأهواء، بسبب الحرية النسبية التي أتيحت للقارئ في اختيار ما يؤمن به من مواقف و آراء وهكذا، فقد ارتدت الرواية في هذه المرحلة حلة جديدة و "أخذت على عاتقها مهمة استكمال فكرة الاستقلال وبالتالي عرضت

---

[1] واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 103

[2] بشير بويجرة محمد ، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ، 1979-1986 ، منشورات الأديب،ج1 ص146 .

[3] المرجع السابق، ص148.

مشاريع متعددة في دلالاتها وتعبيراتها عن الحياة والمستقبل " [1] ، ولذا ابتعد الزمن السياسي عن تدخله في سيرورة الأحداث، إذ بدأت " موجة الخطاب الاشتراكي تنحصر وبدأ بعض الكتاب الذين هم من جيل السبعينيات يراجعون قناعاتهم الأدبية " [2] أمثال **الطاهر وطار** خاصة في روايتيه **الحوات والقصر** 1980م، التي تمثل أنموجا سرديا، يستفيد من التراث وكيفية التعامل معه ، إذ تضفي إضافة متميزة ونوعية في تجربة الروائي، " فاستثمار الطاهر وطار لعناصر التراث السردي الشعبي والأدبي الديني، وتوظيفه للأسطورة في رواية **الحوات والقصر** جعلها تتميز عن نصوصه السابقة " [3] ، **فالقرى السبع والحوات و القصر** ، و**السلطان** ، و**الجنيات** ، و**السمكة السحرية** كلها تستدعي حضور الخيال وتوحي إلى عالم **ألف ليلى وليلى** . " والتراث بمختلف جوانبه جزء من مقوماتنا الحياتية والوجودية والحضارية ، وعلاقته بواقعنا علاقة امتداد ، واتصال " [4] ،بحيث أصبح يعطي الرواية الصبغة الجمالية والفنية، و استلهامه في الرواية لا يعني الانطواء على الماضي، و الهروب من الحاضر بقضاياه الشائكة، بل على العكس من ذلك، فحضور التراث داخل النص الأدبي ليس سوى استلهام مواقف وأفكار ودمجها في أحوالنا الراهنة، و بذلك نضفي جملة من المواقف والمفاهيم التي تساعد الإنسان في تدبير حياته . و هذا هو ما ورد في رواية **الحوات و القصر*** فهي رواية لا تحمل الخيال و الخرافة بقدر ما تحمل الوعي بما يجري و يحدث في الواقع، فقد حاول **الطاهر وطار** من خلال هذه الرواية تسليط الضوء على الواقع لكن بطريقة مغايرة و خاصة، أكسبت نصه الروائي خاصية جميلة و متميزة، "أثبت فيها **وطار** و ربما عن قصد أن بإمكانه الخروج عن النبرة الخطابية و التقريرية التي تحتل الصدارة في باقي رواياته ... تحتل هذه الرواية مكانة خاصة في إنتاجه الروائي من حيث الشفافية و البعد العجائبي التخيلي فهي بالقياس إلى إنتاجه تمثل طفرة فريدة"[5] ، حيث صور الطاهر وطار في تلك الرواية رحلة الصراع بين الخير والشر بطريقة مختلفة "فرحلة علي الحوات هي رحلة الوعي بالثورة، الثورة على الظلم و الج،

---

[1] مباركية عبد الناصر ، تلقي العناصر الأسطورية في رواية الجازية والدراويش ، لعبد الحميد بن هدوقة ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص 6 .

[2] محمد بشير بويجرة ، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ، 1979-1986 ، ص 159.

[3] فهيمة زيادي شيباني ، التجريب والنص الروائي للبنية السردية في الرواية التجريبية ، الحوات والقصر للطاهر وطار أنموذجا، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خضر بسكرة الجزائر ، المركز الجامعي ميلة ، ص5.

[4] سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردي ، رؤيا للنشر والتوزيع ، ط1، 2006 ، ص143.

*ينظر الطاهر وطار ، الحوات والقصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط1 ، سنة 1980 .

[5] ينظر مخلوف عامر ، الرواية والتحولات في الجزائر ، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ، ص92.

الوعي بالطريق الذي يقود إلى افتكاك السلطة ليعم الخير فالخير يستدعي الثورة ، وبالثورة يسود الخير "[1]

و أما **الروائي عبد الحميد بن هدوقة** فهو الآخر اشتغل على توظيف التراث في رواياته، كما تحول من الكتابة عن هموم الريف إلى الكتابة عن المدينة وما يعتريها من مشاكل ومآسي وبخاصة في روايته **بان الصبح**، أما روايته **الجازية والدراويش** *، التي تدور أحداثها حول مجموعة من الطلبة الجامعيين عددهم سبعة، ستة شباب وفتاة ، وقد كان تركيز الكاتب حول الفتاة وشخصية الأحمر الاشتراكية ، كما تحدثت الرواية أيضا حول زواج الجازية وهي الفتاة الجبلية التي كان صراع الزواج منها من أقطاب متعددة .

فقد وظف **بن هدوقة** شخصية الجازية التي كانت أسطورة إلى أبعد حد، التي استقطبت كل شخصيات الرواية، وجعلت الشبان يرغبون الزواج من الجازية ذات الجمال الفاتن وقد زادها افتنانا وفخرا بنفسها هو أنها ابنة الشهيد، ولم " تكن شخصية الجازية في الرواية من الناحية الجمالية امرأة عادية، وإنما كانت أسطورة إلى أبعد الحدود ....اختارها المؤلف من السيرة الهلالية " [2] ، لقد غلف الكاتب الرواية بجو تسود فيه الأساطير والخرافات، تضاف إليه الجازية الحلم فتزيده إغراقا في أسطورته.

كما وظف **بن هدوقة** أيضا الأمثال الشعبية في روايته **الجازية و الدراويش** * التي أعطت صورة فنية و جمالية للرواية "من ذلك قول الجازية " **الملح ما يدود**" و ذلك لتعبير الجازية عن مشاعرها الثابتة نحو الطيب من جهة، و إظهار وفاء امرأة الريف من جهة أخرى، و ذلك عكس المثل **الشجرة لا تهرب من عروقها** ارتباط الجبايلي و زوجته بالدشرة، و هي كلها معاني دالة على التمسك بالأصول" [3].

ولم تكن هاته الرواية وحدها التي تمتعت بالقيم الجمالية وإنما جل الروايات وبخاصة التي ظهرت في فترة الثمانينيات و التي امتازت " بحضور التراث ، وإن كان لا يخلو من شحنة إيديولوجية سياسية، إلا أن البعد الجمالي يبقى هو المقياس

---

[1] المرجع السابق ، ص91.

*ينظر : عبد الحميد ب هدوقة ، الجازية والدراويش ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

[2] عبد الناصر مباركية ، دراسات تطبيقية في الإبداع الروائي ، دار النشر ، جيطلي ، دط ، 2011 ، ص21.

*ينظر :عبد الحميد بن هدوقة ، الجازية والدراويش،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983.

[3] عبد الحميد بوسماحة , الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، دار السبيل للنشر ، 2008 ، الجزائر ،ص 106.

الذي يحتكم إليه في لعبة الخفاء والتجلي، ومن هنا ظهرت مجموعة من الأعمال تجاوزت حدود التراث الوطني، لتعانق التراث العربي الإسلامي، في مجموعة ساعية إلى تقديم قراءة جديدة في صياغة جديدة." [1]

وقد ارتبط توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية بالوعي، وقد أسهم هذا الارتباط في تمثيل الواقع من أجل تغييره، إذ "عبر التراث الشعبي في الروايات عن احتياجات الإنسان الشعبي، و صراعه مع الطبيعة و مع القوى الاجتماعية التي أسهمت في إنتاج مظاهر الضعف في عناصره الشعبية التي شكلت بدورها جزءا كبيرا من حياته"[2].

و من أهم العوامل التي تقود إلى العودة إلى التراث و توظيفه في الأعمال الروائية الحديثة هي إما "بسبب بعثه و التغني بأمجاده عند البعض، و إما بسبب اتخاذه مادة تعبيرية عن الواقع الحاضر" [3] ،و أغلب كتابنا اتخذوه رغبة منهم في إيجاد أشكال روائية غنية تتجاوز القديم و تعطي مساحة من الحرية في التعبير ، كما أنها تؤكد الهوية و القومية و ربما اتخذه البعض للتعبير عن موقف من التغييرات الحاصلة على الساحة السياسية أو الاجتماعية . وربما اتخذه البعض كرمز حتى يسلم من شر الآخر ، **فالطاهر وطار** "وهو في استحضاره للأسطورة واستلهامه للتراث الشعبي إنما ليضيء هذا الموروث ذاته، و لينفتح فيه من روح الإبداع فيكسبه دلالة الفكر و الواقع"[4]

لقد كانت مختلف الأعمال التي ظهرت في تلك الحقبة ترمي إلى إحداث التجديد والخروج من المألوف السردي، فقد رأى البعض في التجديد بالاشتغال المكثف على اللغة بتحويلها إلى فضاء إبداعي، وهو السبيل لتحقيق المغايرة واكساب تجاربهم سمات الجدة وتجاوز ما هو سائد في السرد الروائي، ومع كل هذا يمكننا أن نلحظ في كثير من نصوص هذه الفترة احتفاؤها بموضوع الثورة وتمجيدها، وهذا ما تعكسه روايات **محمد مفلاح** التي كانت " كافية للتعبير عن ذلك الواقع، حتى غدت كأنها حفريات في الذاكرة المأساوية للشعب الجزائري " [5] فقد كانت الثورة دائما وأبدا محطة عبور لدى الكتاب ،

---

[1] ينظر : الأدبي والإيديولوجي في روايات التسعينات ، رواية الطاهر وطار و واسيني الأعرج أنموذجا ، الملتقى الخامس للنقد الأدبي ، الجزائر ، قسم اللغة العربية ،معهد الآداب واللغات ، 15-16 أفريل 2008 ، منشورات دار الأديب ، وهران ، ص184.

[2] عبد الحميد بوسماحة ، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، ص 201.

[3] علاء الدين سعد جاويش ، الاتجاه السياسي في الرواية ،مؤسسة حورين الدولية ، 2010 ، القاهرة ، مصر , ص 66.

[4] مخلوف عامر ، الرواية والتحولات في الجزائر ، ص 91 .

[5] آمنة بلعلى ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، 2006 ، الجزائر ، ص52.

فهي نقطة تحول أساسية في مسار التجربة الروائية الجزائرية، حيث أصبح الحديث عن الثورة نبعا حيا ينهل الكتاب من فيضه، فتتاح الفرصة في الكتابة الروائية سواء بسرد بطولاتها أم بتشكيلها ، غير أن هذه المرحلة تميزت عن غيرها باهتمام الروائيين آنذاك بتصور أسئلة الكتابة وصناعة الشكل الروائي، وإعطاء الرواية الجزائرية صبغة خاصة ، ولم يتمحور ذلك حول أساليب الخروج من الكتابة التقليدية فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى خلق نموذج أصيل للكتابة الروائية بدءا مع الكبار في **الجازية** و**الدراويش** و**الحوات** و**القصر** ، غير أن منطق الواقع فرض نفسه بكل قوة، إذ كثيرا ما كان يتجه الروائيون نحو مواضيع متعلقة بالثورة، التي أعطت طبعة جمالية للرواي، فقد كان لا بد من العبور عبر جسر الثورة، الواقع الذي لم يغادر الجزائري، ولذا كان الزمن الماضي في أغلب الأحيان يطغى على النصوص الروائية، فقد " وضف الماضي في صور كثيرة ومتنوعة، وتفاوتت وجهات النظر حول ماهيته وجدواه، فمنهم من كان يراه من زاويته المظلمة،وبعضهم كان يتشبث بما نصع منه وصفى، في حين كان ثم ثالث يعتز به جملة وتفصيلا،وفي كل الحالات كان الماضي يسم النص ويصبغه بألوانه المختلفة ويطعمه بنكهة جمالية خاصة" [1] .

فهذه رواية **التفكك** * مثلا لصاحبها **رشيد بوجدرة** لا ترى من الماضي إلا السواد القاتم ، لقد تحرر **بوجدرة** من كل ما يعيق العمل الإبداعي، إذ كانت الكتابة السردية عنده تتميز بنوع من المقاومة والعصيان والانحراف وتمرد على التاريخ، فعودة **بوجدرة** إلى العربية حملت معها أشكالا سردية جديدة وغريبة في بعض الأحيان على بنية السرد العربي التقليدي المعتاد . " ترتكز هذه الرواية في بنائها على التداعيات النفسية المتصلة الطويلة انطلاقا من صورة الرفاق البالية ....وأسلوبه يتسم بالحدة والقدرة على ترويض الأداة اللغوية، يكثر فيه التداعي والتداخل والتعرجات والالتواءات وتتزاحم فيه الأقواس والتكرارات وتختلط البداية بالوسط وبالنهاية حتى لا تكاد تميز بين كل منها . إنه بإيجاز التفكك في ثوب موفق ." [2] ، وهكذا يعود بنا الروائي **رشيد بوجدرة** إلى الوراء من جديد ليعطي صورة الجزائر ويرسمها في شخصية **سالمة** التي تحمل في داخلها تناقضات وتحولات ومضايقات وبحث عن الحقيقة.

أما **الحبيب السايح** في روايته **زمن النمرود*** فهو يتبع حركة الواقع بوعي ولأدق التفاصيل ، لقد كان **الروائي** يحمل وعيا لما يجري من التغيرات والتحولات

---

[1] محمد بشير بويجرة ، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ، 1970-1986 ، ص 56.

*ينظر: رشيد بوجدرة ، التفكك ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ، 1985 .

[2] ينظر مخلوف عامر ، الرواية والتحولات في الجزائر ، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ، ص66.

*ينظر:الحبيب السايح ، زمن النمرود،المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985.

التي طرأت على المجتمع الجزائري " **فزمن النمرود** وليدة ظروف السبعينيات، كتبت تحت مظلة الخطاب السياسي الذي كان سائدا آنذاك، ولكن لم تكن انتقادا لهذا الخطاب بقدر ما كانت وعيا به "[1]، لقد جاءت هذه الرواية لتكشف لنا عن الصراع الذي يجري داخل المدينة وما يحدث فيها من مكائد، " غير أن المؤلف يوهمنا بأنه يقصد إلى الكشف عن خبايا وأمراض جهاز الحزب الحاكم وإدارته " [2] ، تدور أحداث هذه الرواية داخل مدينة سعيدة إحدى المدن الجزائرية، وهي تصور لنا التناقضات الحاصلة داخل الواقع من صراع على السلطة إلى عصبية السكان . " لا يتعرض المؤلف في روايته **زمن النمرود** إلى رصد تحول القيم وإكراهات الإيديولوجيا فحسب، بقدر ما يسائل تلك القيم باعتبارها علامات دالة على تحول المجتمع الجزائري في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات " [3] ، تأتي الرواية لتسرد لنا الصراع بين طرفين أما الطرف الأول : يزيد وأعوانه الذي ينجح في الانتخابات في داخله نية الشر والبقاء واستحواذ النقود والسلطة بالتزوير، أما الطرف الثاني وهو أمين ورفاقه الذي ينجح هو الآخر في الانتخابات ، لكن نيته كانت سليمة صادقة وذلك من خلال رغبته في التغيير بتطبيق القوانين وتحقيق العدالة

أما رواية **صهيل الجسد** * لصاحبها أمين الزاوي فهي تجسد لنا أحداث الثورة وصورها وذلك بالعودة إلى الماضي ، ماضي الثورة المجيدة الذي اتخذته هاته الرواية مرتكزا لها تستند عليه في سرد أحداثها، غير أن الشيء الذي تميزت به هذه الرواية كونها استحضرت طرفين هما قريبين وبعيدين في الوقت ذاته، قريبين إذ تجمعهما علاقة الثورة، أب وابن، متباعدين في الفكر، ذلك أن الأب الحاج المكي هو في الرواية شخصية تحمل وجهين، وجه يمثل الخير لأقصى حد، ووجه آخر يمثل الشر لأبعد الحدود، فهو يحمل صفات الاستغلال، النفاق والزيف والعداء للوطن، فهو إقطاعي جاحد، وفي نفس الوقت يستعمل الدين ليبقي على صورته الجميلة بين الناس، فيستعمل العاطفة للتأثير .

أما الطرف الثاني وهو الابن الذي يبعث من طرف أبيه إلى خارج البلاد للعمل ، الابن الذي أصبح يحمل وعيا بالثورة، إنه طرف موالي للوطن والحرية، عكس الأب تماما ، و ما الفرق بين الأول والثاني إلا رموزا وضفت في الرواية، ذلك أن " صهيل الجسد باستحضارها عالم الطفولة والماضي تحاول أن تقرأ الماضي لنفسه

---

[1] المرجع السابق، ص 50

[2] بشير محمد بويجرة ، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ، ص 160.

[3] آمنة بلعلى ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، ص 61.

*ينظر : أمين الزاوي ، صهيل الجسد ،

والحاضر والمستقبل ، إنها تحاول أن تقدم خطابا بديلا عن الخطاب الإيديولوجي السياسي لغة وتاريخا وسياسة وأخلاقا " [1] وهو بذلك يحمل صفات الخطاب الاشتراكي.

نخلص في الأخير إلى القول بأن روايات تلك الفترة كانت حقا في غاية التجديد والبحث عن التقنيات الجديدة، فقد امتازت بالتأني وتنويع الأحداث الملتصقة بالذاكرة والوطن، سعى أصحابها التخلص من القديم بتوظيفهم للتراث الذي " أصبح ينحو منحى جماليا بما ينطوي عليه هذا التوظيف من بعد إيديولوجي " [2]، فقد اعتمد الكتاب في توظيفهم للتراث على الرمز الذي لم ينفك عن دائرة الخطاب السياسي الذي فرض نفسه على مجمل الأعمال الروائية آنذاك.

[1] مخلوف عامر ، الرواية والتحولات في الجزائر ، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ، ص 57.

[2] مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، بحث في الرواية المكتوبة بالعربية ، منشورات دار الأديب ، ط1، ص105.

المبحث الثاني :
الرواية الجزائرية في فترة التسعينيات

الرواية الجزائرية في فترة التسعينيات :

إن الحديث عن الرواية في فترة التسعينيات، يتطلب منا ومن دون شك الحديث عن مميزات هذه الفترة، التي تعددت تسمياتها واختلفت، إلا أن موضوعها واحد وهو العنف *، فقد شهد المجتمع الجزائري في هذه الفترة حدثا استثنائيا فريدا من نوعه، وهي مرحلة لم يألفها المجتمع الجزائري، فهو قد خرج من الاحتلال الفرنسي بعد جهد وكد ، فلم يرتح من تعبه بعد، ولم تكتمل فرحته ليجد نفسه أمام عقبة أخرى لم يألفها ولم يكن لها مثيل، فهو كان حينها كالطفل الذي بدأ يخطو خطوات إلى الأمام فرحا بخطوته لتأتيه هاته الأزمة التي أرعبته وأفشلت جميع حركاته وجعلته يتخبط عاجزا عن النمو والنهوض.

تعد هذه المرحلة هي الفترة الانتقالية من نظام الحزب الواحد (الأحادي) إلى نظام التعددية الحزبية، فبعد أن تسلم الشعب الجزائري مشعل الحرية، بدأ التفكير في مستقبل هذا البلد الحر، وانطلق بذلك البحث عن كيفية بناء مجتمع جديد، له سياساته وإيديولوجيته وتاريخه وثقافته، كما له سيادته المستقل بها، وهو الأمر الذي قامت حوله مجموعة من الخلافات، التي كانت في الأصل مستمدة من الثورة التحريرية ، فقد " كانت من القوة والعنف بحيث لم تكد تتحد الحركة الوطنية إلا في السنوات الأولى من الحرب التحريرية، غير أن بعض الخلافات اختفى أثناء الثورة أو قضي عليه لظروف سياسية معينة، وبعضها ظل قائما بالرغم من هذه الظروف "[1].

لقد تميزت هذه الانتقالية بنوع من العنف والاضطراب والصراع بين الدولة والمجتمع، " ذلك أن الحرية التي جاء بها الاستقلال الوطني لم تكن كافية لنهاية مأساة الشعب الجزائري، بقدر ما كانت هي المرحلة الحرجة والمنعرج الخطير الذي مرت به الجزائر في تاريخها المعاصر، حتى أنها كادت أن تنفلت عن مدارها لتضيع في فراغ الفضاء الخارجي، وذلك بسبب ما صار معروفا فيما بعد عند العام والخاص باسم الإرهاب والبعض الآخر أطلق عليه مصطلح الحرب الأهلية، إذ عرفت الجزائر بسبب هذه الظاهرة تراكمات نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية بل وثقافية أيضا "[2]

---

[1] إدريس بودبية ، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، ص56.

*التسميات التي عرفت بها : الإرهاب ، العشرية السوداء ، العشرية الحمراء ، المأساة الوطنية :

[2] جعفر يايوش ، أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر ، دار الأديب للنشر والتوزيع ، وهران الجزائر ، دط ، 2005، ص7.

إن لهذه الظاهرة الفريدة جذورا أشعلت نيران العنف، وهيجت النفوس ليحل ببلد ، لم يذق طعم الاستقرار بعد ولا ارتاح من ذل المستعمر وقسوته .

الخلفية السياسية :

لقد حاولت السلطة بعد الاستقلال مباشرة، جاهدة في خلق جو مناسب لكافة أطراف الشعب الجزائري وهو ما ذكرناه آنفا، غير أن هذه الأخيرة وفي جهدها هذا كانت جد متسرعة ولم تأخذ الأمور بجدية تامة، فكانت قراراتها عفوية سطحية، ليس لها أي بعد أو بنية تقوم عليها فلم تراع كل الأطراف، وهو الشيء الذي ولد تناقضا وانفجرت " أزمة المناصب والقيادة داخل الحزب "[1] ، مما زاد من فشل السلطة في استدراك هذه التناقضات، التي كان بعضها موروثا خلفته مختلف الصراعات القديمة التي أخذت تطفو على السطح، و إن اتخذت أشكالا مختلفة، فالدافع إليها واحد لا يخرج عن تضارب المصالح المادية والتنافس على السلطة، أما البعض الآخر فقد أفرزته " مرحلة الثورة الديمقراطية في خضم الصراعات الفكرية والإيديولوجية التي عاشها المجتمع الجزائري مباشرة بعد الاستقلال الوطني " [2] .

لقد تحول الحزب الحاكم إلى وعاء تصب فيه كل التناقضات، وحلبة يستعرض من خلاله كل طرف لإيديولوجيته وأفكاره حول إستراتيجية بناء الدولة الجزائرية، وعليه فقد " جاءت مرحلة الثورة الديمقراطية تابعة للثورة الوطنية، حيث ورثت كل تناقضاتها التي تجسدت في الصراع بشكل أكثر وضوحا بعد أن أخذ تضارب المصالح يطفو إلى الأعلى "[3] .

الجانب الاقتصادي :

يرجع الكثير من الدارسين الأزمة التي مرت بها الجزائر، أو كما يعبر عنها البعض بزمن المحنة في الجزائر إلى الظروف الاقتصادية الصعبة التي عاشها المواطن الجزائري آنذاك، إذ تؤكد أغلب الدراسات على أهمية هذا الجانب، في ربط العلاقة بين الشعب والسلطة (الحاكم والمحكوم)، إذ به تتحسن العلاقة أو تسوء ، وكلما كان الوضع الاقتصادي سالما كان الشعب مسالما والعكس صحيح، فكلما كان الوضع الاقتصادي سيئا كان الشعب أسوء، وهو ما يولد العنف والشغب والفوضى، وبرجوعنا لفترة التسعينيات وحال الاقتصاد الجزائري آنذاك فإننا سنلمس ضعف

---

[1] بن جمعة بوشوشة: الرواية العربية الجزائرية ، أسئلة الكتابة والصيرورة ، دار سحر ، تونس ، ط1 ، 1998 ، ص17.

[2] بن جمعة بوشوشة ، الذاكرة بين سيرورة الوعي ومساءلة الإيديولوجية في رواية خويا دحمان ، الملتقى الدولي السابع عبد الحميد بن هدوقة ، جامعة برج بوعريريج ، ط6: ص 79.

[3] واسيني الأعرج : الطاهر وطار ، تجربة الكتابة الواقعية ص 59.

المستوى الاقتصادي ، وهو معروف لدى العام والخاص، فقد كان الاقتصاد الجزائري وقتها يمر بظروف صعبة، وبالتالي شقاء ومعاناة المواطن، إذ كانت هنالك انعكاسات سلبية في بناء اقتصاد الجزائر بعد الاستقلال نتيجة للتسرع والعفوية، من ذلك المشاريع التنموية التي تبنتها الدولة بطرق ارتجالية دونما دراسة للمشاريع وما تؤول إليه من نتائج ، فقد راحت السلطة تدير عجلة التنمية دون تريث ولا إمعان، فصاحب ذلك كله إهمال لفئة من الشعب، واستفادت الطبقة البيروقراطية من الخيرات على حساب المصلحة العامة، كل هذا أدى إلى تبلور الوعي لدى الطبقة المحرومة، وبقي الاقتصاد الجزائري رهين الضعف والانحطاط حيث " قلت الإيرادات وتعطلت المشاريع الاقتصادية، وعمت الفوضى كل المجالات ولم تفلح الإصلاحات المتتالية في استعادة البلاد لتوازنها الاقتصادي " [1].

إن الحالة التي مر بها المواطن الجزائري جراء كل هذه التناقضات والتحولات أدت به إلى التعبير عن هذا الواقع المر الذي لم يكد يقف حتى سقط في وحل من المشاكل والهموم والعجز عن النهوض، وقد أصيب المواطن الجزائري جراء هذا بحالة من القلق والتذمر والإحباط، وهو ما عبر عنه بحالة من الغضب والعنف في أحداث أكتوبر 1988 .

لقد شهد المجتمع الجزائري في فترة التسعينيات أحداثا عصيبة ومريرة، فبتدهور الجانب الاقتصادي وتذبذب النظام في اختياراته، وعجزه عن ضبط ما يحدث من تغيرات ، في خضم ذلك كله كانت وتيرة القلق والتوتر والاضطراب تزداد، و كانت نيران العنف بادية داخل المجتمع وذلك من خلال اندلاع أحداث أكتوبر التي كانت عبارة عن صرخة المجتمع الجزائري من كل ما يعانيه، فقد خرج المجتمع يومها في مسيرة يعبر من خلالها عن رفضه وعن تذمره من الواقع الذي أصبح مرا. وباختصار" تعتبر أحداث أكتوبر 1988 الممر الملغم الذي كان على الجزائري عبوره خلال مرحلة الانتقال من النظام الاشتراكي في السياسة والاقتصاد إلى النظام الليبرالي بقواعده الأساسية ، الاقتصاد الحر والتعددية الحزبية، فكانت بذلك أهم تمظهر للأزمة الجزائرية قبل انتخابات 1992 " [2]، لقد كانت أحداث أكتوبر لحظة انفجار لما كان كامنا في الصدور من توتر وتذمر جماعي، الذي عبر عنه بطريقة احتجاجية مست كل الفئات الوطنية ، وعليه فقد كانت " أحداث أكتوبر

---

[11] حسان راشدي : الرواية العربية الجزائرية مرحلة التحولات 1988-2000 ، أطروحة دكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة قسنطينة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، إشراف الدكتور يحي الشيخ صالح ، 2001 ، ص 370 .

[2] ينظر : المرجع السابق ، ص375.

بمثابة البداية الفعلية للفتنة الوطنية الجزائرية الكبرى ، وهو انفجار لم يأت فجأة، بل جاء نتيجة حالة احتقان شديدة في الحياة السياسية وفساد كبير في الاقتصاد والإدارة، وتدخل ذوي النفوذ من الأشخاص والمؤسسات في عمل أجهزة الدولة مما جعل المواطن ينظر إليها نظرة شك وارتباك انتهت بفقد الثقة كليا، بكل ما له علاقة بالسلطة والنظام " [1] ، وهو الأمر الذي ساعد على تأجيج النيران وبعث جو من القلق والاضطراب الذي أدى بالشعب الجزائري إلى الخروج وإقامة التظاهرات الاحتجاجية، للتعبير عن رأيه ورفضه لما آلت إليه الجزائر.

تبلور التيار الديني :

في خضم الأوضاع التي مرت بها الجزائر أثناء أحداث أكتوبر، ومع إقرار التعددية الحزبية أدى ذلك كله إلى بروز حركية داخل الأحزاب السياسية، التي كانت تقوم بمسيرات فاعلة وسط الساحة السياسية، رغبة منها في الحصول على عدد كبير من الأنصار ، وهذا ما شهده حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فقد حصل هذا الأخير على حشد كبير من المناصرين والجماهير، والسبب وراء ذلك هو استناد هذا الحزب على الدين وجعله بمثابة القوة الروحية لاستمالة الجماهير، وهكذا فقد استجابت فئات شتى من الشعب الجزائري لهذا التيار والذي راح يصغي إلى المكبوت، ويقدم الحلول .ومن هنا بدأت هذه الحركة تنمو و تتطور.

وبهذا " فقد حققت الجبهة الإسلامية انتصارا حزبيا بقاعدتها الاجتماعية الكبيرة وخطاباتها السياسية ذات الصبغة الأخلاقية، وبذلك استطاعت أن تمد الحركة الاجتماعية بمصادر قوة جديدة لم تكن تملكها قبل، مما يؤكد حقيقة الفقر السياسي والإيديولوجي الذي عاشه الشعب قبل أحداث أكتوبر 1988 " [2] . وعليه يمكننا القول أن الحركة الإسلامية لم تنشأ من عدم وإنما وجدت الأرضية الخصبة التي ساعدتها على النماء، فالأوضاع المتأزمة التي عاشها المجتمع الجزائري ساعدت هذه الحركة على نشر أفكارها بقوة، كما ساهمت في التأثير على الأغلبية الساحقة من الجماهير،" و كانت الانتخابات قائمة في الجزائر وأعلن في الأخير النجاح الساحق الذي أحرزه الحزب الإسلامي، وهي نتائج كانت متوقعة، غير أن السلطة رفضت هذا النجاح الذي أصبح يشكل خطرا على كيانها وذلك أن وصول هذه الأحزاب إلى السلطة يمكن أن يؤدي إلى تهديد الوحدة الوطنية كما يعرض الجزائر

---

[1] عمار بن زايد ، الرواية العربية الجزائرية ، عند نقاد الاتجاه الواقعي بين النظرية والتطبيق ، أطروحة دكتوراه في النقد الأدبي ، جامعة الجزائر ، قسم اللغة العربية وآدابها ، إشراف الدكتور عبد القادر هني ، 2001-2002 ، ص 119 ،

[2] عبد الناصر جابي : الانتخابات ، الدولة والمجتمع ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 1998 ، ص 84-85.

إلى حصار دولي غربي " [1] ، وأمام هذه التناقضات تصاعدت حركة العنف التي أذنت بفتح باب الخراب والدمار .

إن الظروف الأليمة التي مر بها الشعب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي ساهمت في ولادة فن اسمه الرواية، فقد كانت هذه الظروف المخاض العسير الذي كان في الأخير نتاجه مولود جديد داخل الجديد ألا هو الرواية العربية في الجزائر ، فقد كان ظهور الرواية في الجزائر كما أسلفنا سابقا مواتيا للأوضاع والمعاناة التي ذاقها الشعب الجزائري، وعبر من خلالها الأدباء عن ويلات الحرب كما مجدوا وأحيوا بها ثورة التحرير فكانت بذلك متنفس الكتاب عن الواقع المزري، فكان لابد لكل كاتب من المرور عبر هذا الممر (الثورة التحريرية)، كما ذهب آخرون إلى سرد الأوضاع السيئة التي رافقت الاستقلال، لتأتي فترة الثمانينيات بحلة جديدة ارتدتها الرواية فكانت جل أشغالها على المتخيل والعودة إلى الأصول وتوظيف التراث الجزائري والعربي ، وهذا بالفعل ما كنا قد أوردناه ورأيناه . فكأنما الرواية في هذه المرحلة قد ارتاحت وأراحت قراءها من سرد الواقع المر، وما كان لها أن ترتاح وتحط رحالها حتى داهمتها أحداث وأوضاع هي ليست كالمعتاد، لم يألفها الشعب الجزائري ولم تألفها الرواية، إذ لم يكن لها مثيل وما كان على الرواية إلا أن تقوم من جديد لاستطلاع ما كان وتنبؤ ما سيكون، فهول ما حدث من ويلات الاستعمار لم يكن لينسى حتى ولد هول آخر أو رعب آخر شل الشعب الجزائري، وأحدث أزمة أخرى ذهل منها كل العالم ، إذ تبدو الجزائر كقطعة مسلوخة من لحمها، شواء رمادي، لا يظهر سطحها إلا حرائق الوجع ، وألسنة الرماد المتصاعدة، روائح الدخان التي زكمت الأنفاس، أصوات تتأوه بوجع وفجور، أنوار مدينة تنطفئ، تحرق هي الأخرى عن عرس الدم الراعف " [2]

ذلك أن أحداث أكتوبر 1988 كانت البداية التي أراد من خلالها الشعب الجزائري إحداث التغير ، وأحدث تغيرا بالفعل والذي أتى على شكل أزمة أو كما سماها البعض عشرية سوداء، وبهذا كان لابد للرواية والروائيين من إحداث تغيير للنموذج ، وبالفعل فقد " كانت بداية تغيير المتخيل هو قول الحقيقة في عنفها وجبروتها ، فقرأنا روايات لمختلف الأجيال (إذا اعتبرنا أن الجيل مرتبط بكل عشريته) تعاطت موضوع العنف السياسي وآثاره اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا "[3].

---

[1] رابح لونيسي ، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين ، دار المعرفة ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 288.

[2] بشير مفتي ، بخور السراب ، دار الحوار ، ط2 ، 2005 ، سوريا ، ص 160 .

[3] آمنة بلعلى ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، ص77 .

لقد كانت الرواية في هذه الفترة بالذات أكثر صدقا وقولا للحقيقة، فقد مثلت لمرحلة العنف بكل تفاصيلها، وهو ما يلاحظ على روايات تلك الفترة، فقد " اكتفى الطاهر وطار في الشمعة والدهاليز مثلا مع الأعرج واسيني في سيدة المقام ، في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها ، كما جسدها آخرون كإبراهيم سعدي في فتاوى زمن الموت ومحمد ساري في الورم، وبشير مفتي في المراسم والجنائز من خلال شخصيات مهزومة بخيبات آمالها " [1] ،.ومن الأكيد أنه كان هناك الكثير من الروايات التي تطرقت للعنف بصوره المتعددة ، فهذه رواية سادة المصير * لسفيان زرداقة سادة المصير تحكي عن أهم المحفزات والعوامل التي ساهمت في بروز الأزمة ، والتي في رأيه تدور حول السلطة والوصول إليها لدى الحركة الإسلامية، تدور أحداث الرواية حول هذا الموضوع لتقام في الأخير الانتخابات بفوز هذه الحركة التي رفضت بإبطال الانتخابات ، فقرر الحزب في الأخير تسلم السلطة.

أما رواية حارسة الظلال* لواسيني الأعرج فقد عالجت موضوعا آخر، إذ كشف من خلالها عن سلبيات المجتمع التي تشكل جذرا من جذور العنف، صور الكاتب من خلالها الأوضاع الاجتماعية التي حلت بالمجتمع الجزائري من إتباع المظاهر والشكليات، تعيين الوظائف بطريقة عشوائية وليست مسؤولة مما أحدث خللا داخل المجتمع الجزائري .

كما ذهبت روايات أخرى إلى توضيح صور العنف من خلال سرد" الحياة الكئيبة " التي عاشها المواطن آنذاك، التي لم تخل من الخوف والقلق، من الضرب، القتل والاغتصاب فقد كانت الحياة صعبة إن لم نقل مستحيلة آنذاك في الوطن الجزائري. فهذه رواية شرفات الكلام* لصاحبها مراد بوكرزازة تعكس بصدق هاته المعاناة ، معاناة الخوف القاتل والمدمر، فكان الشك يدمر العائلة حين يتصادف وجود أخوين ينتميان إلى حزب أحدهما مضاد للآخر وهذا ما كان يدور حول أبطال رواية شرفات الكلام ، إذ كان قلب الأم يرتجف خوفا على ابنيها عمار ورضوان.

إن من أبشع ما كان يحدث في الوطن الجزائري خلال تلك الفترة (العشرية السوداء) هو الخوف وانتظار الموت في أي لحظة، وبأي طريقة، فقد الأمن

---

[1] المرجع نفسه، ص77

*ينظر: سفيان زرداقة، سادة المصير،

*ينظر:واسيني الأعرج، حارسة الظلال ، دون ليشوت في الجزائر ، ورد للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2006 ، سوريا .

وانتشر الرعب، ولذلك كانت روايات هذه الفترة مملوءة بالسواد وبالحقيقة المرة فقد " هيمن الموت في بعض الروايات منذ البداية، حيث يوقفنا السارد على رائحة الموت والدم من خلال عرض حالة المدينة أو الناس المهزومين " [1] ، ففي رواية فتاوى زمن الموت* لصاحبها إبراهيم سعدي تجسد لنا حقيقة هذه المعاناة، إذ تعتبر هذه الرواية نموذج لما كان حاصلا آنذاك، تدور أحداث هذه الرواية داخل حي شعبي من الأحياء الفقيرة التي ذاقت ويلات الحرب، وعاشت أوضاع مريرة حتى بعد نيلها للاستقلال، فكان الفقر والعوز والحاجة دافعا لشباب ذلك الحي في أحداث الفوضى وإرادة التغيير، وهنا يظهر العامل الديني ليهدئ الأوضاع و يرسم الجنة في الأرض، وهنا يتضح لنا أن الرواية تعكس بصدق مسار ما آلت إليه تلك الفترة ، فهي إذن مثال لكل روايات التسعينيات ، " إذ تعكس موقف المؤلف من الوضع، وتشير نهاية الرواية إلى ثبات الحالة واستمراريتها ، كدلالة بأن ممارسة الموت قد تبدت بأشكال مختلفة أهونها الفرار وأقصاها البقاء مع الموت "[2].

لقدت افتقدت روايات فترة التسعينيات حسب آمنة بلعلى إلى متعة السرد إن لم نقل السرد كله حيث " اضمحلت هوية الرواية ذاتها، وذلك من خلال موت السرد وتضخم النصوص، وعدم تنظيم التجربة بواسطة عملية الكتابة، وانحسار دور ومكانة المتلقي في الرواية حيث أعادتنا هذه الروايات إلى التلقي المريح الذي يجعل القارئ يتلقى ولا يتنكر "[3].

فقد انشغل جل الروائيين بتسجيل الأحداث واهتموا به أكثر من اهتمامهم باللغة والسرد، وذلك راجع إلى الكارثة التي حلت بالجزائر، من ذلك رواية متاهات ليل الفتنة لاحميدة عياشي التي " كتبها أثناء الأزمة حيث جسدت مثالا لطريقة الشكل الروائي وكيف يصير الخطاب التاريخي المنقول نقلا "، وبالالتفات إلى ظروف التنشئة لدى المتطرفين سيتضح أنها لا تخل من بؤس وشقاء لدى البعض، كما تتسم ببعض الانحراف والإجرام عند البعض منهم، تعود رواية متاهات ليل الفتنة لاحميدة عياشي " إلى ماضي الأمير أبي يزيد، فإذا هو بؤس وشقاء وحرمان من الوالدين وخزي وعار ....كما تشير الرواية إلى أنه نشأ وحيدا في دار جده، ومن شأن الحادثة أن تجعل منه شخصا ناقما على المجتمع بأسره لنبذهم إياه

---

[1] آمنة بلعلى ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ص79.

*ينظر : مراد بوكرزازة ، شرفات الكلام، ورد للنشر والتوزيع، ط2، 2006، سوريا.

*ينظر : إبراهيم سعدي، فتاوى زمن الموت.

[2] المرجع السابق، ص83.

[3] ينظر :آمنة بلعلى ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، ص83.

ورفضه " [1] . يحاول أحميدة عياشي من خلال هذه الرواية تصوير حياة المثقف في جو يطغى عليه العنف، وقد قسم الكتابة في ذلك إلى : دور السلطة الإيجابي، إبادة العائلات، الخوف من الموت،" ماذا يعني الحذر في زمن الانهيار، ظل يردد بينه وبين نفسه ...الحذر ..من منا يستطيع أن يحقق لنفسه النجاة بالحذر كل من بالغوا في الحذر كانوا ضحايا، الحذر غير مجدي، الموت يسكننا، يترصد أنفسنا "الرواية"[2]...كما تصور الرواية حالة من الصدمة التي أفقدت الناس الإحساس ببعضهم البعض، إذ قلت الزيارات ذلك أن حالة الرعب التي عاشها الشعب آنذاك والقتل الذي أصبح معتادا أو أكثر، منع الأفراد حتى من التجول والخروج والسهر في وقت أصبح الأمان مشروعا فلا أمان بين الناس حتى بين أفراد العائلة الواحدة .

من خلال رواية متاهات ليل الفتنة " فإن اللون الرمادي يحتل جزءا كبيرا منها، فإن ساردها يبرع في وصف مدى غلبة هذا اللون على الحياة الجزائرية ليصل بالقارئ إلى حالة من الاستياء والنفور، فالأفق رمادي والفضاء يغص بالرماد " [3] . لقد امتلأت هذه الرواية بأنات الشعب الجزائري وآهاته، فهي تصور حقيقة الأيام الصعبة التي مرت بالشعب، فلذلك كانت المشاهد باللون الرمادي إضافة إلى اللغة التي كانت تميل إلى السواد. فبين كل مشهد سردي وآخر يجد القارئ السارد يستفزه بألفاظ الصراخ والفزع والعويل ، ومن أول كلمات المتن الحكائي يبرز العنف .

لقد وضع الكاتب متاهة وهي بحق دوامة ومتاهة دخلها الشعب الجزائري، متاهة لا تخل من كوابيس، من جراح و محنة ، قتل جماعي ، وبأبشع الطرق، فزع، خوف وقلق، صراخ، أنين، دموع، سواد، لا أمن، لا سلم لا حياة، هي كلمات سماها أحميدة العياشي متاهة .

وفي هذا المقام لا ينبغي أن ننسى حظ و حق الكاتبة الجزائرية في سردها لزمن المحنة، فقد كانت الكاتبة والمرأة الجزائرية بالذات وفي هذه الفترة متواجدة تتقاسم الألم والمعاناة مع هذا الشعب الذي لم يكد يصحوا حتى نام من جديد ، وقد برز في ذلك عدد من الروايات بأقلام روائيات جزائريات، هذه المرأة التي كانت منذ عهد قريب تتخبط في أغلال العادات والتقاليد حتى وجدت نفسها وجها لوجه مع

---

[1] سعاد عبد الله العنزي ، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، دراسة نقدية ، ص 42.

[2] أحميدة عياشي ،متاهات ليل الفتنة، منشورات البرزخ،الجزائر،2000،ص

[3] سعاد عبد الله العنزي،صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 42.

محنة وطن تعصف به رياح الإرهاب الأعمى، الذي اتخذ من آلة العنف وسيلة لإقصاء الطرف الآخر .

لقد برز عدد كبير من الروايات التي كانت بصوت نسوي من ذلك : أحلام مستغانمي، زهور لونيسي، آسيا جبار ...الخ . وكل منهن قد عالجت موضوع العنف من جهة معينة، فهذه فضيلة الفاروق تطرح من خلال روايتها تاء الخجل زمن القهر الأسري وزمن العنف اللامحدود، حكاية تلخص فيها قهر أمها وجدتها في الزمن الماضي، واستمرار هذا القهر المسلط على كل أنثى إلى غاية الزمن الحاضر .

الفصل الثاني

الرواية الجزائرية وقضايا المجتمع: مقاربة بنيوية تكوينية

قضية المرأة في الرواية الجزائرية

قضية المثقف في الرواية الجزائرية

قضية العنف بين السلطة والتطرف في الرواية الجزائرية

المبحث الأول :
قضية المرأة في الرواية الجزائرية

يعد النقد من أهم الحوافز الدافعة إلى ازدهار عجلة الإبداع الأدبي، و تطور أشكاله الفنية و مقاصده الفكرية و الثقافية، و تنوع مناهجه التحليلية و الثقافية فما فتئ كل إبداع سردي كان أو شعري إلا و قوبل بإبداع نقدي، و ما ازدهر الأدب إلا وكان النقد رافدا له.

إن الهدف من هذا كله ليس الأدب في حد ذاته فحسب، و إنما أدبيته، أي أدبية الأدب بمعنى ما يجعل الأدب أدبا ، في تفاصيله و خصائصه ووظائفه و حتى قضاياه و رآه الآنية و المستقبلية، و هذا هو بالفعل عين ما اختص به النقد.

وقد امتاز النقد اليوم بتعدد مناهجه و مقارباته، إلا أن القاسم المشترك بين هاته المناهج واحد، ألا هو الأدب و العمل الأدبي"و إن اختلفت مواقف النقاد ووجهات نظرهم ، و حتى دوافعهم، فالأدب هو ما يجمعهم"[1]

و بتطور النقد تطورت الأعمال الأدبية، و العكس صحيح، فبتطور الأعمال الأدبية الإبداعية راح النقد في تطور مستمر من ناحية المناهج و المقاربات، و الوسائل المساعدة في تحليل الأعمال الإبداعية. فقد كان النقد في العصور القديمة يتسم بالانطباعية و العلمية إلى غاية أن اختار لنفسه مناهج و مقاربات واضحة، " فالنقد الأدبي ينطلق من النص و ينتهي إليه، و للناقد أن يختار ما بين النص و النص، المقاربة التي يشاء و المنهج الذي يراه ملائما على أن لا يدعي انفراده وحده بالكشف عن السر المطلق للعمل الأدبي"[2].

و ما هذه المناهج إلا مجرد وسائل للعبور إلى النص، فهي أدوات مساعدة على سبر أغوار الظاهرة الأدبية، ففي البداية كانت الأعمال الأدبية و من ثم رافقتها الأعمال النقدية، التي ما لبثت أن تطورت إلى مناهج النقد المتنوعة سياقية كانت أم نسقيه. وقد عرفت هاته المناهج تطورات إيجابية، إذ انحصرت المناهج السياقية في المنهج التاريخي ، النفسي و الاجتماعي لتحتل مكانتها المناهج النصانية النسقية التي تنطلق من النص لتعود إليه أي من النص إلى النص، إذ يرى أصحاب هذا الاتجاه بأن تحليل النص الأدبي يقتصر على تحليل النص وحده و قد أصبحت هاته المناهج النقدية الجديدة (النصانية) تساهم في فهم القارئ للنص، إذ يستطيع القارئ فهم النص و الكشف عن مكنوناته و خباياه، فهذا "تودوروف في إطار دفاعه عن

---

[1] عمر عيلان، النقد العربي الجديد، مقاربة في نقد النقد، الدرا العربية للعلوم ، ناشرون، منشورات الإختلاف ، ط1 2010 ، ص17 .

[2] مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ، ترجمة رضوان ظاظا ، مراجعة المنطق ، الشنوفي ، ماي 1997، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية صادرة عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ، الكويت، يناير 1978 ، ص 06.

الشعرية البنيوية يرى أن الهدف من التأويل أو التفسير أو القراءة جعل النص يتكلم بنفسه" [1]، و هكذا فقد أصبحت الظاهرة النقدية مفتاحا للولوج إلى عالم النص و اقتحام فضاء الخطاب الأدبي .

كما تعددت التعريفات و المسميات التي قدمت من قبل الدراسيين و الباحثين حول ما يسمى بالمنهج النقدي، و هذا ما عرف بمشكلة المصطلح أي وجود عدة مصطلحات لمعنى واحد فعلى سبيل المثال نجد أن منهج النقد السوسيولوجي و هو ما يهمنا في بحثنا هذا يحمل عدة مسميات إلا أنه يدل على مضمون واحد فهو يسمى أيضا النقد البنيوي التكويني، و هو في مجمله و في أساسه يسعى من أجل إقامة علاقة بين الإبداع الأدبي و بين المجتمع، يأتي النص و هو مفعم بالملامح الاجتماعية و القضايا الواقعية .

لقد تبلور هذا المنهج على يد رائده لوسيان غولدمان، سعى أصحاب هذا المنهج (الماركسية) إلى ضرورة انعكاس الواقع الاجتماعي في الأعمال الّأدبية، كما أنه لا بد من أن يلتزم المؤلف بقضايا المجتمع، ومن هنا جاء الاهتمام بالمضمون على الشكل بحيث تصبح مهمة الناقد هي الكشف عن إمكانية ومهارة تجسيد المؤلف للواقع الاجتماعي فمع " النقد الماركسي نشأت ثنائية الأدب والمجتمع"[2] وعليه فقد ساعدت المناهج النقدية الحديثة على زيادة العلاقة بين العمل الأدبي والمجتمع وهذا بالفعل ما يطرحه المنهج السوسيو نقدي في دراسات الأدب الذي ظهر مع " بداية السبعينيات في مختلف التداخلات التي تتناول Claude Duchet الأدب من منظور النقد الاجتماعي " [3] . تهدف السوسيو نقدية قبل كل شيء إلى التركيز على النص،وهي دراسة اجتماعية للنصوص الأدبية وطريقة جديدة لقراءتها "[4] .

إن المنهج السوسيونقدي هو منهج يقصد من خلاله دراسة النص دراسة شكلية محايثة، ومنها يتمحور المضمون إذ يكمن " كل الرهان حول مكون النص الاجتماعي ، أي علاقته بالعالم " [5] ، وبما أن النص استحالة أن يعيش في ذاته ولذاته، فإنه حينها سيكون له امتداد خارج ذاته، وهذا ما يقره أصحاب المنهج

[1] وردة سلطاني ، النص بين سلطة الكاتب و القارئ ،مجلة المخبر ، وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة و مناهجها ، جامعة بسكرة ، قسم الأدب العربي كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية العدد الأول ، 2009، ص 4.

[2] المرجع السابق، ص05 .

[3] محمد ساري ، الأدب و المجتمع ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2009 ، ص95.

[4] المرجع نفسه ص 103 .

[5] المرجع نفسه ، ص103.

السوسيو نقدي، فالنقد بالنسبة إليهم " يصبح بلا جدوى إذا اقتصر على تحليل النصوص والحكم عليها، والأولى نقد العمل الأدبي على أساس أنه جزء من النظام الاجتماعي، فيبين كيف ولد هذا العمل وما علاقته بالأنظمة الأخرى وما الأشياء التي يرمي إليها " [1] . إن من أهم المجالات التي يستطيع الكاتب تجسيد هذا المنهج فيها هو الرواية ذلك أننا نجد أن المنهج السوسيولوجي قد ارتبط كثيرا بمجال الرواية، وعلى أهمية هذا النقد السوسيو بنائي يبدو " أنه قادر على كشف ما لم يكن معروفا من خصائص النص، وأنه مناسب لدراسة الأعمال الأدبية والفكرية، لأنه يتيح الربط بين العمل الأدبي الفني وبين المرحلة الاجتماعية والتاريخية، مع تجنب الأحكام الجاهزة التي اعتاد عليها بعض النقاد ... و أن يلصقها بإنتاجيات منقودة اعتمادا على دراسة المضمون وحده ودون اعتبار للعوالم الخاصة التي ينسجها المبدعون شكلا ومضمونا " [2] بل ويذهب بعضهم إلى أن هذا النقد" لا يلغي الفن لحساب المضمون وإنما يقيم بينهما جدلية ماثلة في عالم تكويني " [3]

لقد كان لظهور الرواية في الجزائر ارتباط وثيق بالواقع الجزائري، فقد حاولت الرواية منذ ظهورها في الجزائر مسايرة و مساندة الواقع المتأزم الذي عاشه الجزائري بكل تفاصيله، فكانت عينا على الحدث، و مرآة عاكسة للمجتمع، خاصة و أنها ظهرت استجابة للوضع المتردي الذي عاشته الجزائر قبل الاستقلال و بعده، فقد طغى الجانب الاجتماعي في الرواية الجزائرية، كما أنها امتلأت بقضايا المجتمع الجزائري، حاول البعض من الروائيين، الغوص في الحدث و منهم من طرح المشكلة أو أبدى لها الحلول و منهم من قدم و جهة رأي، و بعضهم اكتفى بالتلميح و الترميز ...الخ، و" لم يعبر النتاج الأدبي بما فيه الرواية عن قضايا محلية دون غيرها من القضايا الإنسانية، فدرجة معاناة الإنسان الجزائري الشبيهة بمكابدة أي إنسان الآن، الظلم واحد في كل مكان والشعور بالحرية واحد " [4] ، وهو ما نلاحظه على الروايات الحديثة خاصة، غير أنه لا بد لنا من التركيز على أن القضايا التي تمس الوطن الجزائر والمواطن الجزائري أي علاقة الجزائري بالأرض الأم خاصة وأنها احتلت الصدارة وكان لها النصيب الأوفر والطاغي على الرواية، وذلك كان

---

[1] أحمد كمال زكي ، النقد الأدبي الحديث ، أصوله واتجاهاته ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ص200.

سليم بركان ، تلقي الخطاب النقدي السوسيولوجي في الجزائر،أشغال الملتقي الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، جامعة جيجل (الجزائر) نقلا عن محمد برادة ، تقديم ترجمة كتاب الرواية المغربية ، لعبد الكبير الخطيبي ، المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط 1997 ، ص07 .

[3] محمد خرماش ، إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي ، مطبعة أنفو ، فاس 2001 ، ط1 ، ص01.

[4] ينظر ، شريبط احمد شريبط ، درات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث ، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية ، 2007 ، ص 41.

حقا عليها لأن الظروف التي مرت بها الجزائر ومر بها المواطن الجزائري كانت جد مرهقة وصعبة . ذلك أن الرواية أكثر النصوص الأدبية التي بإمكانها تجسيد الظواهر والصراعات التي تولد في بطن المجتمع وتنمو فيه فهي أكثر مجال للمقاربات الاجتماعية للأدب .

والرواية هي ذلك الشكل الأدبي الذي يقوم مقام المرآة للمجتمع،" مادتها الإنسان في المجتمع وأحداثها نتيجة لصراع الفرد مدفوعا برغباته، وينتج عن صراع الإنسان هذا أن يخرج القارئ بفلسفة ما أو رؤيا عن الإنسانية " [1] ، إذ نستطيع أن نلمس جانبا من المجتمع داخل الرواية عن طريق اللغة أو الموضوع أو المضمون. إن ارتباط الرواية بالحياة والمجتمع جعلها تتميز بطبيعة خاصة " جعلها صورة خيالية مركبة من أشخاص و أفعال وأقوال وأفكار، من جنس الأحداث التي تجري في المجتمع وعلى شاكلة الأشخاص الفاعلين فيه، وتعبر تعبيرا دقيقا عن واقع الصراع الإنساني وتكشف عن حقيقته حسب وجهة نظر الكاتب ورؤيته الخاصة،صورة مكتوبة باللغة النثرية التي يستخدمها الناس في المجتمع والمعبرة في الوقت نفسه عن خطاباتهم ولهجاتهم و أصواتهم "[2] .

لقد تدهورت أوضاع المجتمع الجزائري بعد الاحتلال، وانتشر الفقر، و المرض كما ساءت الأحوال في كل المجالات، انحط المستوى الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي . " والجزائر وللأسف منذ الاحتلال وهي في تدهور بداية من الاستعمار الذي حطم كل الجزائر وجعل منها إنسانا مريضا عاجز لتأتي فترة الاستقلال المليئة بالمفاجآت، سيطرة السلطة ، الثورة الزراعية ...الخ. لتأتي فترة العشرية السوداء ...الخ فكل هذه التغييرات السريعة والحادة في المجتمع الجزائري انعكس تأثيرها على أبنية المجتمع الجزائري وأنساقه المختلفة " [3] ومن هنا فقد دب الخلل في أداء المجتمع الجزائري في بعض وظائفه بشكله السليم " مما انعكس اضطرابا وتوترا في علاقات أفراد المجتمع خاصة حينما يواجه تحديات خارجية كبيرة وخطيرة كالاستعمار الفرنسي "[4] .

---

[1] فاطمة موسى ، دراسات في الرواية العربية ، دراسات بين أدبين العربي والانجليزي ، دار الحقيقة للإعلام الدولي ، ط1 ، 1991 ، ص 12.

[2] عبد الرحيم محمد عبد الرحيم ، دراسات في الرواية العربية ، دار الحقيقة ، دط ، دت ، ص03.

[3] محمد محمود الجوهري ، عدلي محمود السمري، المشكلات الاجتماعية، دار المسيرة ، ط1 ، الأردن ، 2014، ص50.

[4] ينظر : جليل وديع شكور ، الدار العربية للعلوم ، أمراض المجتمع ، الأسباب والأصناف ، التفسير ، الرقابة والعلاج ، ط1 ، 1998 ، بيروت لبنان ، ص111 .

لقد قدم سعيد علوش في كتابه الرواية والإيديولوجية في المغرب العربي، دراسات تعكس من خلالها العلاقة القائمة بين الإنتاج الروائي وتفاعلاته مع الواقع الاجتماعي من خلال دراسة عدد من الروايات التي تقدم بدورها وتحقق " درجة الوعي الممكن من خلال البنية التفاؤلية للرؤية التي تضمنها الرواية، حيث يكشف الروائي عن الوعي الاجتماعي التاريخي بروح نقدية، تنطلق من رصد المنطلقات والتحولات في البنية المجتمعية، ويتم اعتماد المسار العام للخطاب الروائي عبر تعددية الأساليب في إشارة غلى تعدد المنطلقات والتوجهات الفكرية الإيديولوجية " [1] ، وبهذا نقول أن سعيد علوش قد انتقل وتجول بين أرجاء المجتمع الذي أنتج بيئة الرواية .

قضية المرأة في الرواية الجزائرية :

إن قضية المرأة هي قضية هامة وجد جوهرية على غرار القضايا الأخرى، و ذلك مرده إلى دور المرأة في الحياة و المجتمع باعتبارها نصف المجتمع، كل ذلك أعطاها كامل الأحقية و الأهمية في اعتلاء عرش الأدباء و التربع على بلاطه على مر العصور و الدهور إذ كانت قاسما مشتركا بين الشعراء و الروائيين، فمنهم من قصدها للغزل و المتعة و منهم من رأى فيها الجمال و الطهارة و العفة، و منهم من رأى فيها رمزا للعطاء و التضحية، و منهم من رسمها بملامح القسوة و العهر الفجور، كل قد اخذ نصيبه منها و لم يكتف منها الشعر فقط و إنما نالت القدر نفسه من الأهمية و الحقارة بما فيه في ميدان الحكي و القصص، فكانت نقطة التقاء الروائيين ،منهل و نبع كل رواد الأدب.

وإذا كانت الرواية الوعاء الذي يتسع لتجارب الروائيين و قضايا المجتمع والمحيط فإنها في زمننا هذا خالفت ما كانت عليه من مجرد سرد للأحداث والشخصيات و الأمكنة بطريقة خيالية عجائبية كأنها أسطورة، هي في حقيقة الأمر أصبحت تجمع بين تمثيل لواقع المجتمع و التاريخ معا، هي الآن تقاسم الفرد حياته في كل أبعادها، و الرواية الجزائرية هي الأخرى لم تكن بعيدة عن قرينتها، و إنما أصبحت هي الأخرى رهينة الواقع و طقوسه، تشتغل على اللحظة، تصور الآني، ترصد الأحداث بشكل واقعي ، فهي منذ تكوينها تحمل صوت الروائي، تحمل بين جنباتها آهات الشعوب، و أنات الوطن الجزائري خاصة في مراحله الأليمة، "فأمام الواقع المتذبذب، تأخذ الروايات الجزائرية، أمثال روايات إبراهيم سعدي، واسيني

[1] عمر عيلان ،النقد العربي الجديد ، مقاربة في نقد النقد ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، ط1 ، 2010 ، ص 241.

الأعرج و رشيد بوجدرة، بالفضاءات الواقعية في شخصياتها و أحداثها و مكانها وزمانها لتنقل معاناة المجتمع الجزائري و القلق الوجودي الذي تعيشه الشخوص"[1].

و عليه فإن الرواية الجزائرية كغيرها،ارتبطت ارتباطا وثيقا بنص الإيقاع الداخلي للحياة في أبسط صورها و أعقد تجلياتها، فهي تحمل في كنفها أحاسيس الإنسان الجزائري و انفعالاته و قضاياه اليومية.

نرمي في هذا المقام التعرض لقضية" المرأة الثورية في الرواية الجزائرية، و التنقيب عن أهم ما جاءت به قريحة الكتاب الجزائريين من إبداعات سردية، إذ هنالك من اعتنى بصورة المرأة الجزائرية و منحها حقها، بل و أكثر من ذلك إذ منهم من وضعها في مصاف الملائكة خاصة تلك المرأة البطلة المجاهدة و الشهيدة، و هو ما نلحظه عند عبد القادر عميش في روايته بياض اليقين، و غيره من الذين عنوا بإظهار الوجه الجميل و لعله الحقيقي للمرأة الجزائرية.

لقد اختار بعض الروائيين معالجة قضية المرأة مرتكزين في ذلك على واقعها الثوري الخاص، و هو ما أتاح المجال للكشف عن أوضاع الحياة النضالية و الاجتماعية للجزائر زمن الاستدمار الفرنسي إذ أن المرأة الثورية والمجاهدة لدى سرد قصتها، إنما تعكس لنا رؤية ثورة نضال المرأة الجزائرية، و جهادها و عملها الفدائي، فلقد " استثمرت الرواية الجزائرية الثورة لتقديم صورة عن المساهمة الفعالة للمرأة في الكفاح المسلح،من خلال تقديم نماذج عن المرأة الثورية"[2]، ذلك أن المرأة الجزائرية هي التي أنجبت المجاهدين و الشهداء، الذين حرروا الوطن و دافعوا عنه، و هي بذلك لم تكن بعيدة، إذ لم تكتفي بأولادها فقط، و إنما كانت مع الأوائل متواجدة و حاضرة، ذلك أن " الثورة الجزائرية الكبرى 1954-1962 تعد فترة استثنائية في تاريخ المرأة الجزائرية، حققت أثناءها حريتها و أثبتت وجودها حتى أنه يمكن القول بأن المرأة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية كانت أكثر تحررا منها بعد الاستقلال، فالثورة لم تكن ضد المستعمر فحسب بل كانت أيضا ضد الأفكار البالية التي تميز بين الذكر و الأنثى في الإنسانية"[3].

لقد تعددت الراويات التي تحدثت عن شخصية المرأة الثورية كرواية **الانفجار** لمحمد مفلاح و **البزاة** لبقطاش، إلا أننا و في هذا المقام نخصص حديثنا عن رواية **لونجة و الغول** لزهور ونيسي، ذلك أن هذه الرواية قد تكلمت عن هذه

---

[1] ينظر: هبة داودي، صوت المرأة في روايات ابرهيم سعدي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه جامعة مولود معمري، تيزي وزو كلية الأدب و اللغات قسم الأدب و العربي، فرع أدبي، د ت، ص101.

[2] صالح مفقودة ،المرأة الثورية في الرواية الجزائرية لونجة و الغول لزهور ونيسي أنموذجا العدد الثاني ،قسم الأدب العربي كلية الأدب و العلوم الاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة جون 2002 ص 02

[3] المرجع نفسه ص 03 .

الشخصية بصورة متأنية، و هو الأمر الذي أقره صالح مفقودة في كتابه المرأة في الرواية الجزائرية حيث تدور أحداث الرواية حول الأحداث المأساوية التي عاشتها الجزائر أثناء الاستعمار، و هي رواية بسيطة تتمتع بالتسلسل وعدم الرمزية ذلك أن الروائية تكشف لنا عن عنوانها الغامض داخل الرواية، حيث أنه "يتبادر إلى أذهاننا للوهلة الأولى، و نحن نقرأ عنوان الرواية أن أحداثها تسيطر عليها أجواء الحكاية الشعبية و نكهتها، و تتنفس في مناخ أسطوري ، و ذلك انطلاقا من العنوان، الذي يحيلنا بالضرورة، و بدون حواجز إلى صلب التراث الشعبي، غير أنه سرعان ما تتبدد هذه التوقعات، لأننا لا نلتقي بكل ما سبق ذكره . إنه نوع من المراوغة الفنية الجميلة في اختيار العنوان"[1]

لقد اعتقدنا في البداية أن الكاتبة استوحت روايتها من عالم القصص و الحكاية الشعبية، إلا أن الكاتبة و الروائية زهور ونيسي قد صرحت في الفقرة الأخيرة من روايتها عن اسم لونجة التي لم تذكرها في متنها الروائي إلا في الأخير ، حين يوجه الراوي خطابه إلى بطلة الرواية "مليكه أنت ملكة في مكان ما من الزمن، أنت لست مليكه ياملیكة أنت لونجة بنت الغول ، أتدرين من هي لونجة بنت الغول؟ تلك التي تحكي عنها جداتنا تلك الفتاة الجميلة، التي لا يمكن أن يصل إليها أحد، لأنها تسكن قصرا عظيما، عالية أبراجه، تناطحه السحاب، هو قصر الغول"[2].

لم تدع لنا زهور ونيسي و لا للقارئ علامة استفهام أو غموض أو رمزية، فهي سرعان ما كشفت عن رمزية و دلالة عنوان روايتها في الفقرة الأخيرة فقط، إذ " تتخذ الرواية بعدا رمزيا و إيجابيا، فإذا كان الرمز ينمو و يتطور كالبذرة اليابس، فإن الروائية لم تعمد إلى متابعة تطور رمزها و ذلك عند قول الراوي هذه الفتاة هي أنت يا مليكه، عفو، بل هي لونجة، مليكه أو لونجة كلاهما واحدة ياملیكة، تتكرران في الزمان و المكان ، و تولدان كل لحظة مرت من رحم العذاب و الجمال"[3].

فباستثناء هذه الرمزية البسيطة، فإننا نلتقي بقصة عادية إذا تستوحي الروائية أحداثها من الأجواء المريرة التي عاشتها العائلات الجزائرية وقت الاستعمار الفرنسي ،و قد اختارت مليكه لتكون بطلتها، مليكه هي تلك الفتاة الجزائرية البسيطة التي تمتلك الحس المرهف، التي تبحث عن الأمن و الاستقرار، عن السعادة، هي تلك الفتاة المتمردة تمرد الخائف، هي مليكه التي تنظر و تنتظر المفر هي فتاة تجلس في مكان من زوايا البيت تتأمل و تراقب فهذا والدها مثقل بهموم العيش، و هذه والدتها ألفت البيت و تربية الأولاد تعودت على الطبخ و الطهي و هو الشيء

[1] عز الدين جلاوجي،زهور ونيسي دراسات أدبية ومقالات في أدبها، عاصمة الثقافة العربية 2009، ص 33.
[2] زهور ونيسي لونجة و الغول مشورات إتحاد كتاب العرب ، الجزائر ، 1993 ، ص 142.
[3] عز الدين جلاوجي،زهور ونيسي دراسات أدبية ومقالات في أدبها، عاصمة الثقافة العربية 2009، ص 33، ص 34

الذي استنكرته مليكه، و هذا أخوها شاب كبقية شباب الجزائر تحت وطأة المستعمر، كل ذلك كان سوادا يحوم حول مليكه، إلا أن هناك فتحة صغيرة بيضاء كانت هي المتنفس الوحيد لها، و هو حبها لابن الجيران الذي كانت دائمة النظر إليه، لكنها وتحت وطأة التقاليد زفت لغيره، فبعد التحاق أخيها رشيد بالجبل و الثوار، زفت مليكه إلى أحمد فملأها بالعطف و الحنان، لكن ذلك لم يدم طويلا حتى التحق هو الآخر بالثوار و تركها وهي حامل و لكنها سرعان ما تلقت خبر استشهاده، وهي صدمة أدخلتها المتشفى لتلد طفلها أحمد بعملية قيصرية ثم زوجت من أخيه كمال، و تمضي الأيام ليقرر بعدها كمال الالتحاق بالثوار، يخيم الحزن على بطلة الرواية مليكه التي لم تعد قادرة على تحمل ألم الفراق إلا أنها كانت دائمة الصبر حتى لحظة ولادتها أنجبت نواره و فراقت الحياة، و هي نواره التي تأمل زهور ونيسي أن لا يقطفها أحد و كأن نواره هي حرية الجزائر بالنسبة لزهور ونيسي .

سعت الكاتبة و الروائية زهور ونيسي من خلال هاته الرواية طرح قضية المرأة خاصة وقت الاستعمار و ذلك قصد تصوير معاناة المرأة الجزائرية آنذاك، إذ حاولت من خلال شخصية بطلتها توضيح شدة معاناة المرأة الجزائرية، التي كانت رمز للعطاء و التضحية، إذا تعد رواية لونجة و الغول من أهم الروايات الجزائرية التي جسدت وضعية المرأة أثناء الثورة، و لم تكتف الرواية الجزائرية بتصوير هذا الجانب فحسب و إنما "جسدت مختلف أوضاع المرأة في البيت و في الجبل (المرأة و الثورة) و في المدرسة و الحقل و المستشفى، و خصصت كل رواية حديثها عن حيز خاص و عالجت صنفا محددا من مشاكل و هموم المرأة"[1].

كما اختصت بعض الروايات الأخرى بتصوير المرأة و اتخذتها رمزا للوطن الجزائري، من ذلك رواية المرايا المتشظية ووادي الظلام و متاهات ليل الفتنة ..الخ، إذ قامت هاته الروايات باستثمار كل ما أحيط بالجزائر ، و ما حيك لها من مشاكل و مزالق، كما صورت كذلك كيد المغتصبين لها و الراغبين فيها، من ذلك رواية الجازية و الدراويش إذ تأتي الجازية ليكون في مقابلها الجزائر و الدراويش هم الراغبون في امتلاك الجزائر من أقطاب شتى، و هاته رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، إنما تعرض لنا ذكريات الجزائر فحياة هي الجزائر التي رضخت لشخص و قبلت به و هي تتوق إلى غيره، و كذلك فوضى الحواس التي تعرض صورة المرأة كرمز للوطن، "النهر الذي يتطلع إلى الارتواء منه الكل، فأحلام أو حياة أم إما. و لينتبه القارئ إلى هاته الأسامي المتعددة التي تماهي عدة نساء في امرأة، زوجة السياسي رجل السلطة العسكري، و هذا يبين أن الجزائر هي ملك

[1] صالح مفقودة ، المرأة الثورية في الرواية الجزائرية لونجة و الغول لزهور ونيسي، ص 371.

للسلطة أو التحكم بشؤونها هو السلطة، هذا الزوج الذي لا ترفضه و لكنها ترضخ و تتقبل وضعها معه"[1] .

كما أنه جدير و حري بنا الذكر و عدم النسيان لتلك المرأة التي عاشت تحت وطأة العنف، ليس عنف الاستعمار، و ليته كان هو لكان أهون عليها، إنه عنف و رعب الإرهاب. كانت المرأة فيه تفقد زوجها و يشتت أطفالها، وليس ذلك فحسب بل كانت تؤخذ لتكون سبية، خادمة وجارية تعرض للمتعة، وهو ما تعرضت له روايات عديدة من ذلك رواية الورم لمحمد ساري، حيث تأتي كل الأحداث مليئة بجو الخوف والإحساس بانعدام الأمن في ضوء الظروف المحيطة بهم في ذلك الوقت، إذ كانت جل الأماكن الموظفة في الرواية"فضاءات" مشحونة بالعنف و القتل والخوف والرعب، وأصبحت على قدر انفتاحها مجالا ضيقا تضيق فيه نفوس الشخصيات على امتدادها و هو امتداد تحقق على مجرى الأحداث المتتابعة"[2] . خاصة وأن الرواية الجزائرية قد أولت عناية هامة لهذا الموضوع، إذ يحضر المكان في الرواية ملتبسا بكل التحولات التي طرأت عليه في الواقع المعيش، بعد الانقلاب الذي حدث في حياة الإنسان الجزائري .

وعليه فإن المرأة الجزائرية عانت الأمرين، عنف الاستعمار وعنف الإرهاب، و بينهما كان عنف التقاليد والمجتمع مختبئا، ومع كل ذلك، وإن كان أحدث خطرا وخللا في حياة المرأة إلا أنه تشاء أقدار الله عزوجل أن تتخذ المرأة من خلال هذا المشوار منعرجا أخر، حاولت من خلاله كسر القيود و عدم الرضوخ والخضوع للواقع، فإلى جانب ما كانت تعيشه من عنف اجتماعي، يضاف إلى واقعها المنحط عنف جديد هو العنف الأمني، فإنها تظهر في رواية سيدة المقام، و يصحو الحرير، و الشمس في علبة، بحلة جديدة تتعامل من خلاله مع العنف بصفتها بطلة لديها رؤية ووعي بالزمن، تدخل معه في حوار وصراع يؤطرهما الحاضر .

المرأة المناضلة في الرواية الجزائرية :

تخرج المرأة من خلال هذه النصوص الروائية عن إطارها الطبيعي المعتاد في الرواية التقليدية، إذ نلحظ فيها جانب من الثقافة، لها رؤية، تنتقد المحيط من حولها، تتميز بالإيجابية. تظهرالمرأة في رواية سيدة المقام[3]* بكامل وعيها ترفض الواقع وتحاول أن تتحد آلامها غير آبهة لتلك الرصاصة الطائشة، تلك الرصاصة

[1] سعاد عبد الله العنزي ، صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، دراسات نقدية ، ص 72.
[2]طويل سعاد ، الفضاء المكاني في رواية الورم لمحمد ساري، مجلة دورية ا اكادمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي ، علوم اللغة العربية وادابها العدد الأول ،الربيع الاول1430ه ،مارس 2009م .
[3] *ينظر : واسيني الأعرج : سيدة المقام ، ورد للطباعة والنشر ، سوريا ، ط5 ،2006 .

التي كانت مصدر وعي بالنسبة لمربم التي تعاند الزمن ، وترفض عصرا سمي بعصر العنف، خاصة وأن الأحداث آنذاك هي أحداث أكتوبر 1988، هذه الرصاصة التي حولت حياة مريم إلى إصرار على الحياة ،إلى تحدي الواقع، واقع أصبح بالنسبة لها كالبداية، لقد كانت مريم تتخبط بين الماضي والحاضر، ماض كئيب تفاصيله بين أم مكسورة وزوج أم منعزل منطوي، بدل الأب المجاهد الشهيد، زوجها حمودة الذي كرهته، أرادت مريم أن تغير محيطها، فكأنما الرصاصة شجعتها على إحداث التغيير وعدم قبول الماضي الأليم ، حاولت التطليق من زوجها ، فهي تطمح إلى المستقبل ، تريد من خلاله إثبات الوجود، لكن الحاضر بعنفه لا ينبئ بخير ، فالتدريبات بدأت وربيع الجزائر صار قريبا لكن البلاد تموت كل يوم أكثر وقد لا يجيء الربيع أبدا " كانت مريم وكانت الدنيا وردة هذه المدينة و حلمها ، وتفاحة الأنبياء المسروقة في لحظة غفلة ، رعشة المعشوق، وهكذا يكتشف فجأة خطوط جسد معشوقته، لكنها فجأة سقطت من تعداد كل الأشياء الثمينة [...]، كيف تجرأت المدينة على قتل مريم في هذه الجمعة البائسة ؟ " [1].

مريم المرأة الراقصة للبالي تتعلق بالأستاذ الجامعي من دون قيود، هي ثلاث سنوات عاشتها البطلة مريم بعد الحادثة، حاولت من خلالها إثبات وجودها، حاولت من خلالها التنكر للماضي والتملص منه وبداية الحاضر بإشراق، حاولت الاستمتاع بالحياة رغم أن الزمن هو زمن العنف، زمن لا يسمح بذلك . وهكذا فقد تميزت المرأة الجزائرية بنوع من القهر والظلم " إذ عاشت الأنثى في ظل الممارسات والسلوكات المتناقضة ، ينظر إليها المجتمع بنظرة تناقضية حادة، إذ هي المرغوب والمرهوب، غير المرضي عنه اجتماعيا، فمجرد الحديث عن الوضع الطبيعي لها ضمن جدلية الذكورة يعتبر عاملا مخلا بالحياء. فاكتسى فصل المرأة عن الحياة التحدي الدائم الذي رفعته ثقافة المجتمع التقليدي، فأنزل المرأة منزلة الكائن القاصر، وأمام هذا الصمت المتزايد أدى بها إلى أن تكون ضحية من نوع آخر، الاضطهاد الاستعماري " [2] .

لقد كان مسار المرأة سلبيا فلم تكد تسلم من اضطهاد تقاليد المجتمع لها حتى صادف انتقالا آخر، ثقلا آخر شل جميع حركاتها وأبقاها دائما بائسة (الاستعمار والإرهاب) ، ولكن المعروف عن المرأة القوة والصبر والتحدي ، فلن ترضخ المرأة لمثل هذه النكسات وإنما كان علمها يرفرف عاليا ، فلم تبق منعزلة بل كانت دائما تواكب المستجدات ، " إذ شجعت على التعليم وتطوير حياتها الاجتماعية ، من ذلك أعمال عبد الحميد بن باديس ودوره في ترقية المرأة الجزائرية، وكثرة

[1] المرجع السابق ، ص 8.
[2] جعفر يايوش ، الأدب الجزائري الجديد ، التجربة والمآل ، ص52.

المدارس التعليمية كل ذلك ساهم في تكوين المرأة وتوجيهها، ومن هنا ظهرت مجموعة من النساء أعلنت حضور المرأة فكانت هناك شاعرات وقاصات وأديبات، شاركت المرأة في المحاضرات كما ظهر صوتها في المنتديات وبذلك حققت المرأة أشواطا حيث صقلت كتاباتها بخصوصيات منحتها التميز و الانفراد ، كما ساهمت في تحديد طبيعة مواضيعها" [1] ، نذكر في ذلك بعض الأسماء التي سجلت حضورا على الساحة الأدبية والروائية : آسيا جبار ، زهور ونيسي ، ربيعة جلطي، زوليخة خربوش ، أحلام مستغانمي .....

[1] سعاد عبد الله ، العنزي ،صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية ،دراسات نقدية، ص144.

المبحث الثاني :
قضية المثقف في الرواية الجزائرية

المثقف في الرواية الجزائرية :

حري بنافي هذا البحث التعرف على قضية مهمة، شغلت مساحة لا بأس بها داخل الرواية الجزائرية، ألا و هي قضية المثقف الجزائري و بخاصة في فترة ما بعد الاستقلال، و حددنا هذه الفترة بالذات لا لشيء و إنما ذلك راجع إلى دلالة هذه الكلمة ، " فمفهوم المثقف كان في المرحلة الاستعمارية و حتى من قبل مرادف لدلالة متعددة مثل الحكماء و العلماء و أصحاب القلم و الفقه... وهي دلالة تتغير باستمرار حتى في الزمان و المكان، و قد أطنب ابن خلدون في استعمال هذه الدلالات ..... ولم يرد أي ذكر لكلمة مثقف في أدبياتنا العربية، مما يؤكد أن مفهوم المثقف ورد علينا خاصة مع الخطاب الإستشراقي و الدراسات السوسيوثقافية الأوروبية التي طبقت على فضاء خاص هو المنطقة العربية و لذلك فإننا حين نستعمله إنما نستعمله من باب التقليد و المحاكاة "[1].

و هذا مشكل من المشاكل التي تواجه الناقد و الذي يكمن في إشكالية المصطلح، خاصة بتعدد المصطلحات الغربية، و ازدحام المفاهيم، بحيث أنه وجد للمصطلح الواحد أكثر من مفهوم، و مهما يكن من أمر فالمثقف الجزائري بالنسبة لقلولي بن ساعد إنما المقصود به هو ذلك " الباحث أو الناقد الذي يتعامل مع المرجع بطريقة ما، من أجل مهمة واحدة هي استكمال ملف الكتابة، و قد يكون متوجها إلى هدفه أو مرتدا أو حائدا عنه " [2]، في حين يرى سماح إدريس أن المثقف هو" الذي يسعى إلى نشر الثقافة، " إذ هو إنسان علم و معرفة و مواقف حضارية عامة"[3] . بالنظر إلى الرواية على أنها عمل فني، و المجتمع فيها متخيل يحاكي الواقع و لا يطابقه، ننطلق في دراستنا للشخصية المثقفة داخل مجتمع الرواية.

لم تقف الرواية الجزائرية في انشغالاتها على التاريخ عند موضوع الثورة الكبرى فحسب، و إنما كان نطاقها أوسع من ذلك ، فقد كان لها التفاتات كثيرة بحيث طرقت مواضيع كثيرة، كان لها دور ريادي في رسم صورة المشهد السياسي الجزائري غداة الاستقلال .

لقد استقت الرواية الجزائرية مادتها من محنة الوطن، و حاولت الكشف عن عدة قضايا من بينها الكشف عن نظرة المثقف لهذه المحنة، و كيفية تقبله إياها و عيشه معها، و في ذلك يذهب عنصر العياشي إلى أن المثقف الجزائري " هو معني بكل ما يجري من أحداث في المجتمع و ملزم بأداء رأيه و ليس من حقه

[1] قلولي بن ساعد ، مقالات في حداثة النص الجزائري، اتحاد الكتاب الجزائريين، دط : 2005 ص 8

[2] المرجع نفسه، ص 9.

[3] ينظر محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب ،سوريا1999 ص 6.

السكوت، لكن عليه أن يتخذ موقفا نقديا و مستقلا عن لعبة التوازنات، و يندد بالعنف بكل أشكاله و مهما كان مصدره"[1]، كما ينبغي عليه أن يتميز بالإنصاف و النزاهة و لا ينبغي له " السعي وراء تحقيق مصالح و مكاسب شخصية أو فئوية محدودة، بل على المثقف أن يكون مدافعا عن الحرية و مناهضا للاستبداد بكل أنواعه، و مهما كانت مصادره بما في ذلك الجهة التي ينتمي إليها المثقف اجتماعيا أو سياسيا أو عقائديا، فالمثقف الحقيقي هو من يعبر عن رأيه بكل حرية و استقلالية لأنه يمثل اليقظة ضد انحراف أو تشويه يهدد الممارسة الديمقراطية "[2]، و مهما يكن من أمر فإن المثقف و لا شك إنما تكمن مهمته في الالتزام بقضايا المجتمع حاملا هم الشعوب.

إن علاقة المثقف الجزائري لم تكن ظاهرة إلا بعدما حل الخراب و الدمار على الشعب الجزائري، حيث دخلت البلاد في دوامة من العنف، و لم يعد الجزائري قادرا على استيعاب ما يحدث، إذ كان الموت يرصده من كل جانب، فلا مستقبل و لا أمل ينتظره إلا انتظاره للموت، إذ ليس في جو الجزائر وقت التسعينيات إلا الموت يحوم و يخيم . و في وسط هذه الدوامة كانت فئة من الشعب و هم المثقفون تختلف آرائهم و ردود أفعالهم، و هنا تبدأ علاقة المثقف بالوطن في وسط مليء بالسواد لا مفر منه، يتوقع المثقف فيه في أي لحظة يهاجمه الموت و تبقى التساؤلات مطروحة بأي طريقة، كيف و متى، هو هاجس ظل يرافق المثقف الذي حمل هم الوطن و هو الآن يهان فيه من طرف المجرمين و هو بالفعل الأمر الذي شغل بال المثقف، و هو ما يلاحظ على الروايات الجزائرية التي سطرت بحبر أسود على ورقة بيضاء، فقد امتلأت الرواية الجزائرية بظلمات الموت و الرعب خاصة و أن "الوضع الواقعي للراهن الجزائري هو مصدر الكتابة الروائية، بالإضافة للتجربة الذاتية للكاتب المبدع و خياله و ذوقه الفني، و بذا تتموضع تيمة الموت كحجر الأساس في البناء الروائي"[3].

لقد كانت أقصى طموحات الجزائري آنذاك هي فرصة البقاء حيا، و حلم لم يتحقق هو الأمن و الاستقرار، إلا أن الأمر تعدى السنة و في ذلك كله كانت نظرة المثقف كلها سوداوية ، رؤيته لنفسه و لما حوله كانت كلها دنيوية و احتقارية و هذا ما جاء في رواية المراسيم و الجنائز لصاحبها بشير مفتي، فأمام الأحداث المرعبة التي يعيشها الوطن و المجازر التي لا تعرف التوقف "

[1] ينظر العياش عنصر، سوسيولوجيا الديمقراطية و التمرد في الجزائر ، ،ص 36.
[2] المرجع نفسه ، ص 36.
[3] جعفر بابوش ، الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل، ص 225.

بدت لي (المثقف) الحياة فجأة قذرة و مملة لا تستحق أن تعاش و كان في حالة يائسة شديدة العتمة"[1] ،

لقد اختار المثقف لنفسه في وسط هذا الركام ما يناسبه، فمنهم من تعجل الموت لأن انتظار الموت أصعب، فاختار الانتحار قبل أن يداهمه الموت و تحل به الكارثة ، ليرمى في الشوارع جثة هامدة فتكون ميتته غير مشرفة. و منهم من اختار الهروب فأغلق الأبواب على نفسه و اكتفى بالمشاهدة، اعتزل العالم من حوله لأن ما كان يحدث في الجزائر آنذاك صعب الاستيعاب " إذ تبدو الجزائر كقطعة مسلوخة من لحمها، شواء رمادي، لا يظهر على سطحها إلا حرائق الوجع و ألسنة الرماد المتصاعدة، روائح الدخان التي تسكن الأنفاس، أصوات تتأوه بوجع و فجور، أنوار مدينة تنطفئ ، تحترق هي الأخرى في عرس الدم الراعف"[2] .

إلا أن هذا لم يمنع بعضهم من مواكبة الحدث ، و إعطاء لمسة، و ترك بصمة، لعل ذلك ينفع، هاته الفئة كانت نموذجا للمثقف الإيجابي الذي كان فاعلا مصلحا و مصححا، و هذا هو الوضع" الصحيح لأي إنسان قبل أن يكون مثقفا و واعيا لدوره في الحياة، و حقيقة جميع من خسروا حياتهم و كثيرا من أحلامهم و طموحاتهم أنهم كانوا مصلحين"[3] .

المثقف في الرواية الجزائرية :

و في حقيقة الأمر أن الرواية الجزائرية عرضت مختلف المثقفين خاصة الذين واجهوا مضايقات من طرف الإرهاب سواء من قتل أو تهديد أو اغتيال ..الخ. و الملاحظ على مجمل الروايات الجزائرية تكثيف في توظيف شخصية المثقف الصحفي، ذلك أن الصحفي هو بالنسبة للإرهاب يشكل خطرا ، فهو " ينقل أخبار ضحاياه و يوضح مدى بشاعته و لذلك كان يشكل حجر العثرة الذي يتعثر به الإرهابي"[4] ، و هذا الموضع بالذات يظهر و بخاصة في رواية متاهات ليل الفتنة لصاحبها أحميدة عياشي التي تركز على الضحايا الصحفيين، و محاولة الاغتيال : " هي رواية امتزجت بالواقع، فقد حملت تقاسيم الحياة و الواقع في فترة مميزة من تاريخ الجزائر، عالج فيها الروائي الأزمة السياسية التي سادت خلال العشرية الأخيرة، يروي فيها الكاتب حوادث الاغتيال

[1] ينظر : بشير مفتي ،المراسيم و الجنائز منشورات الاختلاف ، الطبعة الأولى 1998 الجزائر ، ص 27.
[2] المرجع نفسه ، ص 16.
[3] سعاد العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ،ص 50.
[4] المرجع نفسه ، ص 50.

الجماعية التي كانت تمارس في حق الشعب الجزائري، متتبعا أحداث حرب دامية عرفتها الجزائر ، حرب مجهولة الهوية و المصدر" [1].

إن هذه الرواية هي صورة شاملة بكل التفاصيل، و بأدق المعاني للعنف الذي عاشته الجزائر، " منذ فترة تعطيل الانتخابات في الجزائر و ما تلاها من تطورات خطيرة وصولا إلى صورة العنف القاتل الذي وقع على كافة شرائح المجتمع الجزائري، و الصحفيين و المثقفين بصورة خاصة، و قد كان الصحفي مستهدفا في هذه الحرب باعتباره يناضل من أجل الوصول و التصريح بالحقيقة و قد كلفه ذلك حياته في كثير من الأحيان"[2] ، فكأنما أحميدة العياشي عطرها برائحة الموت التي كانت تفوح أثناء تلك الفترة، و ليس هذه الرواية وحدها من تشتغل على هذا الموضوع ، و إنما هناك الكثير من ذلك رواية وادي الظلام فهذا أحميدة يتساءل عن معنى الكتابة في زمن الجهل قائلا " ما معنى أن يكتب المرء في مجتمع لا يقرأ بل تحكمه ديكتاتورية...

إن الكتابة في مجتمع شفوي لا يمكن اعتبارها إلا شكلا من أشكال الجنون البائس أو من الاستئناس المجنون ثم خاطب احميده نفسه :

هل نكتب لنغير ، لكن نغير ماذا، غير شخصية حميده و حميدو ، فهناك الكثير من الشخصيات التي تشتغل في مهنة الصحافة مثل عمر و علي خوجة، اللذان كان مصيرها هو القتل"[3] .

و في كل هذا الزخم ضاع المثقف في غياهب السواد، فهو يتساءل متى بدأ هذا الهم و متى ينتهي و ما مصير الوطن، لا يعرف من أين يبدأ، و إذا ما بدأ أين ينتهي ، و ما هي عاقبته ، و هكذا بقي المثقف يتخبط في دائرة لا مفر منها.

و بهذا ييأس المثقف من انتشال هذا الوطن من دائرة الخراب،"فلم يعد ثمة ما يفعله... إلا أن يرضخ لويلات صراخ الروح التي فاجأها الحدث الأكبر"[4]، و هو اليأس الذي أصاب عدد من المثقفين سلب حركاتهم و كبل أيديهم،" فكل شيء متعفن لدرجة لا يمكن معها الحلم بالتغيير"[5] ، هي حالة من الفوضى واللا معنى، عايشها المثقف في العشرية السوداء، إنهم كالذباب الذي لا قيمة له ولا معنى لحياته أو موته .

---

[1] بحوص نوال ، واقع الكتابة الروائية الجديدة قراءة في المنجز الإبداعي للروائي الجزائري احميدة العياشي، ، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم ، كلية الأداب و الفنون قسم اللغة العربية و آدابها ص 1.

[2] المرجع السابق،ص 1

[3] سعاد عبد الله العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص 50.

[4] ينظر : بشير مفتي ، أرخبيل الذباب ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2010 ، ص111 .

[5] ينظر ، بشير مفتي ، شاهد العتمة ، منشورات البرزخ ، 2002 ، ص 76.

و هكذا تدهورت حالة المثقف بتدهور الوطن و انهياره، فهذا الجو المليء بالسواد و الشحنات السلبية، أرق المثقف الذي حاول جاهدا بعد أن ملأه اليأس و الحيرة و خيبة الأمل مما آل إليه الوطن، فقد كان يخطو بخطى مثقلة ليتكيف مع هاته الغيوم التي لبدت سماء الوطن، و هكذا فإن "النخبة المثقفة وجدت نفسها في وضعية جد خاصة و حرجة، حيث تعرضت من جهة لسكين الذبح و التقتيل، حيث ذهب كثيرا من المثقفين و المفكرين و الإعلاميين ضحايا في ظل ظروف غامضة غير واضحة، و البعض فضل السفر إلى الأمام لا يلوي على شيء في حين بقي البعض الأخر يندد أو يوافق ، يعارض أو يعاضد"[1] .

لقد تعددت صور المثقف داخل الرواية الجزائرية بحيث " تتوزع إلى أدباء و معلمين و محامين، كل منهم له دوره في هذه الحرب الأهلية"[2] ، ففي روايات بخور السراب لبشير مفتي، تظهر صورة الأستاذ الجامعي الذي لم يكن له مفر من الجماعة المتطرفة حيث لاحقته الشائعات من قبل المتطرفين، و كان نصيبه التهديد بالقتل، لم يكن له خيار إلا الانسحاب لكنه اختار الاستسلام فهو يوقن أنه لا محالة مقتول، و هو يعترف بذلك في قوله : أفكر بجدية في ترك الجامعة، فحسب ما سمعت لقد حلل دمي، و إن كل تلك الشائعات بصددي، و لم تكن إلا البداية لإعطاء شرعية لمقتلي، سيقتلونني حتما لم يعد عندي أي شك في ذلك"[3]، لقد حاول الروائي من خلال روايته بخور السراب طرح قضية الترهيب والتقتيل الذين تمارسهما الجماعات المتطرفة على النخبة المثقفة ، كما تعرض للمحطات التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري ومدى انعكاسها على الجانب الفكري والثقافي فقد " بدأت أجواء الحرب تقتل بداخله أي رغبة، إلا شعوره بالوحدة وأحيانا النظر من شباك النافذة وتأمل الشمس التي تغيب . يوجد شيئ ما كان يسطر في الغيب، حركة غير عادية في سير العالم ولك من يرى ومن يسمع، من بإمكانه فهم ما يحدث في الجزائر " [4] .

كما لا بد أن ننوه هاهنا إلى حضور شخصية المثقف في رواية الكاتب لواسيني الأعرج إذ تعد هذه الشخصية محورية " يرصد من خلالها قضايا و مشكلات فكرية و اجتماعية، فعلى الرغم من حضورها المأزوم و الانهزامي في بعض الروايات على غرار سيدة المقام، إلا أنها تظل شخصية مركزية على درجة كبيرة من الوعي

[1] جعفر يايوش، الأدب الجزائري التجربة و المآل ، ص 223..
[2] سعاد عبد الله العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية ، ص 153
[3] بشير مفتي ، بخور السراب ، ص103 .
[4] ينظر : المرجع نفسه ص 113 .

بالعالم و بقضايا العصر، مثلما عليه أمرها في الواقع الحي، فأبطال وسيني غالبا ما يكونون فنانين أو جامعيين أو كتابا أو صحفيين، يصدرون عن نزوع تحرري"[1] .

يستحضر صاحب رواية أصابع لوليتا مأساة تخيلية تنسج خيوطها من الماضي ، بحيث " تمتص شخصية المثقف في رواية أصابع لوليتا تناقضات الواقع وصراعاته وتتمثلها في سلوكياتها وحالاتها النفسية وفي مواقفها من الراهن وأيضا من الماضي وملابسات التاريخ، فبطلها يساري ينفذ في كتاباته الصحافية فالروائية إلى مواطن الظل في التاريخ السياسي الوطني غداة الاستقلال "[2] . يحاول بطل هذه الرواية الكشف عن الغموض وتوضيح المبهم و كثيرا ما يستنكر الواقع فهو صحفي يمتلك القلم ليهاجم ويراوغ باسم مستعار حاول من خلال كتاباته التأكيد علي إعادة النظر في المشهد السياسي الجزائري غداة الاستقلال.

و بعد حديثنا عن المثقف الإيجابي نقف عند المثقف الإشكالي الذي هو "مثقف يحمل قيما حضارية ويرغب في تغييرها ولكن يكتفي بالقول من دون العمل، إنهم مثقفون ليست لهم أدوار فاعلة " [3] ، تظهر هاته الشخصية في رواية فوضى الحواس، التي تعرض فيها لشخصية مثقفة ليست سلبية وإنما إشكالية، فهي فتاة مثقفة زوجة لأحد الضباط الذين لهم مصالح مع الوطن، في حين أنها ابنة لأحد المناضلين ، فهي بين هذا وذاك، فهي مع زوجها قالبا فقط ومع الوطن ووالدها قلبا .

و هو الأمر عينه الذي تميزت به الشخصية المثقفة في رواية إبراهيم سعدي فتوى زمن الموت، هذه الشخصية التي كانت تحتل منصبا عاليا و شهادة عليا لم تتمكن من أن تكون شخصية مثقفة إيجابية، والراجح في ذلك أن " اغتراب هذه الشخصيات هو نوع من الاحتجاج على سيادة الظلم في المجتمع، فهذه الشخصية المثقفة غير راضية بمجتمعها وواقعها و لا راضية لثقافة المجتمع و أخلاقه و قيمه و مؤسساته، إنها شخصية أعلنت قطيعتها مع المجتمع و اختارت العزلة أو العيش في القبو بعيدا عن الناس"[4] .

وعليه يمكن القول أن الرواية الجزائرية التسعينية تجاوزت موضوع الثورة التحريرية والمشاكل الاجتماعية و اهتمت بالصراعات، وحالة العنف التي شهدتها الجزائر في العشرية السوداء، وذلك بغية تجسيد الأحداث الوطنية التي كان يكتنفها القلق والخوف والذعر، خاصة وأن معظم الروايات الجزائرية حاولت إظهار

---

[1] هنية العوني جوادي ، التجلي الأخر بالتاريخ السياسي غداة الاستقلال قراءة في أصابع لوليتا لواسيني الأعرج، مجلة و مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، جامعة بسكرة الجزائر ،: قسكم الآداب و اللغات / كلية الآداب و اللغات ، عدد 10، ص 278.

[2] المرجع نفسه ، ص 288 .

[3] سعاد عبد الله العنزي ، صورة العنف السياسي ، في الرواية الجزائرية المعاصرة ، ص57 .

[4] محمد رياض وتار ، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق ، 1999، ص 123.

صورة لشخصية المثقف في خضم هذا الدمار والخراب، هذه الشخصية التي كان لها الدور البارز في مدنا بانطباعات هذه الفئة حول أحداث تلك الفترة، حيث أن معظم الروايات اتخذت هذه الشخصية دور البطل الذي يعيش في داخله تمزق الوطن فيكون شاهدا على ذلك .

و عليه فمن خلال ما سبق يظهر لنا تصنيف الرواية الجزائرية لشخصية المثقف، و التي تظهر على الشكل التالي:

1- الشخصية الإيجابية : و هي شخصية فاعلة تتميز بالصمود و التحدي ، تحمل هم الوطن، تحاول التغيير و إن كان من المستحيل، هذه الشخصية برزت بطلة ، خاصة الصحفي الذي كان نقطة ضعف، و عدو للطائفة المتطرفة، و هو ما عالجته رواية متاهات ليل الفتنة لصاحبها أحميدة عياشي.
2- الشخصية السلبية: و هي تلك الشخصية التي هالها ما حدث بالوطن، لكنها اختارت طريق الخطأ الذي هو في نظرها طريق يؤدي إلى النجاة و الأمن، هذه الفئة لم تكتف فقط بالابتعاد و العزلة، وإنما تواطأت مع من خرب الوطن و ساهم في جعل الجزائر تعيش الألم و المعاناة، هذه الشخصية هي " شخصية وقعت في مستنقع القذارة، و انغمست في حياة الغاب، قادتها أنانيتها إلى الفتك بالآخرين، و الصعود على جثث الأبرياء"[1] ،و هذا ما نلمسه في رواية الورم لمحمد ساري من خلال شخصية المعلم أحمد الذي كان يلجأ إليه عامة الناس من أولياء التلاميذ لأخذ المشورة منه، لكنه لم يستطع المحافظة على مبادئه و أخلاقه فقد حولته السلطة إلى متمرد.
3- الشخصية الإشكالية: هي الفئة المثقفة الإشكالية، التي كانت وسط ، لا هي غيرت و لا هي عملت على التغيير، لكنها لم تخن الوطن، هذه الشخصية وقفت في الوسط كمن لا حول له و لا قوة، فهي تحمل هم الوطن و حب الإصلاح و التغيير، و لكنها لا تستطيع فعل أي شيء و ذلك أضعف الإيمان، خشية ألا تفقد مصالحها أو مناصبها أو حفاظا علي حياتها و حياة أسرها ، و هو ما لاحظناه في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي.

المثقف و السلطة :

إن موضوع المثقف و السلطة هو موضوع غني، حيث احتل حيزا غير يسير من اهتمامات الرواية العربية الجزائرية، خاصة و أنه موضوع يكشف

[1] سعاد عبدالله العنزي ، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 48.

عن الواقع الاجتماعي و السياسي و الثقافي لأية أمة من الأمم، علما أن المثقف يعيش صداما مع السلطة، خاصة و أنه كان يعيش وضعا مأساويا يحاول من خلاله الكشف عن سبب الخراب و الضياع الذي تعيشه الجزائر، و السلطة كانت و لا شك في قائمة المشتبه بهم لدى المثقف، و من هنا يأتي الصدام، و السلطة آنذاك لم تكن سلطة معينة بحد ذاتها و إنما كانت سلطات تفرض نفسها على المثقف، فيتوافقان حينا و يختلفان أحيانا أخرى، فقد واجه المثقف سلطة المجتمع و العادات و التقاليد، و السلطة الديني، و سلطة الدولة، كل ذلك كان في حراك إن لم نقل عراك دائما مع المثقف الذي كان كثيرا ما تشل حركاته هاته السلطة، و أحيانا تذهب بعقله ، فالمثقفون على تشبيه أحدهم أنهم " هم بمثابة القشرة الوسطية في الأرض انطلاقا من أن الأرض تتركب من نواة ملتهبة دائمة الانصهار و قشرة عليا متصلبة، و مادة ثالثة تتوسطها و تتميز بالتغلغل و عدم الثبات، و هي بذلك قد تتجاوز إلى النواة الملتهبة الثائرة و تصبح جزءا من مكوناتها، كما قد تنزلق من الطبقة العليا المتصلبة فتصبح إحدى قسماتها و تختص بخصائصها"[1] .

لم يكن للسلطة القائمة علاقة ودية مع المثقف الذي كثيرا ما كان يشكل لديها الانزعاج، و هي في ذلك لم تدخر جهدا في ترويعه، وقمعه رجاء استسلامه وخضوعه لها لكن بين الفينة و الأخرى كانت تتقرب إليه بغية خدمة مصالحها، و تمرير إيديولوجيتها خاصة عندما أرادت إنجاح المشروع الاشتراكي الذي تبنته ،"فعوض ان يكون صوتا يعبر عن الجماهير، و يعبر عن همومها، أضحى صوتا يعبر عن إيديولوجية السلطة دون و عي حقيقي منه لأنه مرتبط بالخطاب الإيديولوجي أكثر مما هو مرتبط بالواقع، فلقد سيطرة الإيديولوجية الاشتراكية على فئة عريضة من المثقفين من مختلف الشخصيات سواء منهم الأدباء أو الذين اشتغلوا في ميدان المعرفة من علم الاجتماع و فلسفة و تاريخ، فعكف الكل على إظهار القيم الاشتراكية في المجتمع الجزائري و العربي، مما يعني أن المثقف تحول إلى مثقف تقني استعملته السلطة مقابل امتيازات مادية، بخاصة حينما فرض عليه بمقتضى القانون 120 الانضمام إلى الحزب الواحد و اكتساب بطاقة النضال، من أجل الحصول على منصب عمل في إحدى مؤسسات الدولة"[2].

لكنها سرعان ما أبدت الرغبة في التخلص من المد الإيديولوجي و ما بين موت هذا وولادة ذاك صراعات و قضايا شائكة، و انهيار و دمار للوطن

[1] أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية ، المفهوم الممارسة، دار النشر راجعي الجزائر، د ط ، 2007، ص 113 .
[2] المرجع نفسه ، ص 248.

الجزائري ، خاصة بالاعتماد على الحركة الإسلامية و تهييجها بإيقاف حركتها، ووسط كل هذا الخراب الذي عم الجزائر، لم تغفل الرواية الجزائرية عن تجسيد هذه الأحداث كلها التي كان فيها المثقف يقف حائرا و مندهشا عن أسباب و أصحاب هذه الفتنة

حاول الروائي الجزائري الكشف عن سلبيات السلطة و قد اختار لذلك بناء فني يجسد حقيقة مأساة الأزمة الوطنية، لكن اللافت في الأمر هو ان "السرد لا يحفل بالشخصيات السياسية في السلطة، لا يتتبع حركاتها من البداية إلى النهاية راصدا أفعالها و سلوكها التي تشخص فسادها بل تحضر السلطة بصفتها جهازا فاسدا ، يمثل ظاهرة في النص يذكرها الراوي و الشخصيات المحورية مسندا إليها صفات تكشف عنها"[1] فمفهوم السرقة في هاته الروايات لا نعني به الانطباع الأول لمفهوم السرقة المتداول بين أفراد الحي الشعبي، و إنما في ذلك الزمان اختلفت حيث أنها تعني به السياسي أدت به السرقة في إطار العمل، و هو الأمر الذي توضحه لنا رواية دم الغزال لمرزاق بقطاشّ، التي كشف فيها الحديث عن الأزمة و المحنة التي واجهت الجزائر، التي تكلم فيها عن السرقة و الخيانة السياسية، إذ تشارك هذه الرواية رواية سادة المصير للروائي محمد ساري و رواية حارسة الضلال لواسيني الأعرج في توجيه سهام النقد والاتهام للسلطة من خلال ممارسة العنف ضد الشعب بل إنها تتطرق لحادثة قتل الرئيس الجزائري محمد بوضياف"[2].

و هكذا فإن روايات فترة التسعينيات الجزائرية ظهرت في مرحلة متأزمة من تاريخ الجزائر عرفت بالأزمة، ووجد فيها الكتاب مناخا مناسبا و مادة دسمة لأعمالهم الإبداعية خاصة الروائية ، باعتبارها أكثر ملامسة للواقع.

[1] سعاد عبد الله العنزي، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية ، ص 172.
[2] المرجع نفسه ، ص 61.

المبحث الثالث :
قضية العنف بين السلطة والتطرف في الرواية الجزائرية

قضية العنف بين السلطة والتطرف في الرواية الجزائرية :

عند قراءتنا للأوضاع المختلفة في المجتمع الجزائري في حقبه المختلفة، نلحظ مدى استيعاب الرواية الجزائرية للأوضاع السائدة فيه، و بخاصة فترة العشرية السوداء، والتي كانت في مجملها تتأرجح بين إيديولوجيا الرفض والنضال، إذ نلمح في الروايات الجزائرية خاصة التي اشتغلت على هذا الموضوع، صراع إيديولوجي كل منها تحاول إثبات ذاتها وإلغاء الأخرى، وهما الإيديولوجيا السياسية والإيديولوجيا الإسلامية .

لقد وصل الصراع إلى أوجه، وتحول إلى قوة سياسية وتيار إسلاماوي ، وكلاهما كان متطرف متعصب لرأيه، وبينهما تتأرجح إيديولوجية المثقف . فبعد سلسلة الأحداث التي ميزت الساحة السياسية في الجزائر، أعلنت حالة الحصار بجعل البلاد تخضع للحكم العسكري ، وإعلان سقوط الحكومة الثانية التي تأسست عام 1988 . وما لبث العنف السياسي أن تحول إلى عنف دموي، وبهذا تم التجمع للحركات الإسلامية : "التي نشطت على الساحة السياسية ونادت بتطبيق قيم الإسلام وشرائعه في الحياة العامة والخاصة على حد سواء، وتعادي أو تعارض في سبيل هذا المطلب الحكومات والحركات السياسية والاجتماعية الأخرى التي تدعي أنها قصرت وتوانت في الامتثال إلى تعاليم الإسلام أو خالفتها " [1] وفي الحقيقة أن كل هذه الأحداث السياسية التي عصفت بالبلاد وسببت الأزمة كانت ناتجة عن خلفيات وظروف ساهمت في بلورة هذه الأزمة، فغالبا ما كانت تنشأ مثل هذه الأزمات وهذه التجمعات والحركات نتيجة " للظلم والقمع الممارسان من قبل السلطة الحاكمة، والإحساس بالتهميش والإقصاء، والذين غالبا ما يؤديان إلى الاغتراب (عدم اللامبالاة ...ضغوط الفقر، التخلف، البطالة وقلة فرص الصعود الاجتماعي وبخاصة لدى شباب المدن والمجموعات الريفية المهاجرة)، تزلزل منظومة الأنماط والقيم الاجتماعية وكذلك ضعف المناهج التعليمية والتربوية وقلة الخبرة السياسية والدينية وكذا تنوع النصوص الدينية وتعارض آراء الفقهاء، أيضا تشجيع الحكومات المحلية على ظهور الأحزاب والتنظيمات الدينية "[2] ، كل ذلك ساعد على بروز تلك الأزمة التي ما زال وقعها على نفوس الجزائريين . ومن هنا نلاحظ أن الدوافع التي أدت إلى العنف عديدة ومتنوعة .

---

[1] ينظر : شليغم غنية ، الحركة الإسلامية من التطرف الديني إلى الاعتدال السياسي ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد الثامن جوان 2012 .ص02 .

[2] المرجع السابق ، ص03 .

وقد أصبحت الرواية الجزائرية ومن دون شك المرجع الذي أرخ لكل الأحداث التي مرت بها الجزائر، إذ كانت روايات التسعينيات بالأخص هي الصورة الصادقة للحدث الاستثنائي الذي عاشته البلاد، فامتلأت الروايات آنذاك بالحقائق والأحداث وتنوعت في الآراء والأفكار، حيث ارتبط هذا النوع من الروايات " بسنوات المحنة الجزائرية ، إذ اتخذ النص الروائي المأساة الوطنية التي انفجرت على أكثر من صعيد المادة الخام لبنائه السردي، تلك الأحداث الجزائرية التي تعود خلفياتها إلى أحداث أكتوبر 1988، التي لم تدم سوى أياما إلا أن ما تمخض عنها شكل منعرج تحول هام وغير مسبوق في النظام الجزائري " [1] ومن هنا كان لزاما على الروائيين الالتزام بهذه القضية ، حيث أن معظم روايات فترة التسعينيات كشفت عن وعي يرى أن العنف الذي حدث لم ينشأ اعتباطا وإنما كان بسبب عدة مسببات .

إن هذه العاصفة التي لبدت سماء الجزائر وسببت الأزمة، وساهمت في تدني الأوضاع في الوطن كانت ناتجة عن خلفيات سبقتها، " فمنذ أحداث أكتوبر 1988 ، أكثر مواقف ومواقع التيارات السياسية والاجتماعية والفكرية في الجزائر وفي التسعينيات طرحت إيديولوجياتها على الساحة السياسية والاجتماعية و الاقتصادية، وجد الروائي وجها لوجه معها وإن كان واحدا منها، لذا راح يكتب عنها متبنيا إحداها ، ومهاجما أخرى وقلما يكون محايدا، ركز في رواياته على التطرف وشخصية المتطرف، أحضره ليدينه ويحمله مع السلطة ما حدث " [2] .

كثيرا ما يحاول الأديب والروائي نقل التجربة الواقعية إلى تجربة إبداعية، بحيث يمزجها بجانب من التخييل والفنية ، إلا في " فترة التسعينيات في الجزائر بحيث لم يكن ليغري الأديب بالكتابة بقدر ما كانت تجبره عليها ، لأنها الملاذ الآمن للمثقف آنذاك ....وراحت الكتابة الروائية تواكب الأزمة فوجد بذلك نوع روائي جديد، يصب وينبع من الأوضاع المفجعة التي عاشتها الجزائر منذ بداية التسعينيات [3]" .

---

[1] كربيع نسيمة ، أبعاد الصراع الإيديولوجي لشخصية الفنان في رواية بما تحلم الذئاب لياسمينة خضرا ، مجلة الاثر،جامعة جيجل ، ، العدد 14 ، جوان 2014 ، ص 26 .

[2] الشريف حبيلة ، صورة التطرف في الرواية الجزائرية المعاصرة ، جامعة العربي التبسي ، قسم اللغة العربية وآدابها ، مؤتمر فيلادلفيا الثالث عشر ، محور الحب والكراهية ، عنف المتطرف ضد الآخر في الرواية الجزائرية ، ص 1.

[3] ينظر المرجع نفسه ، ص 26.

ومن هنا نستنتج أن العنف في الجزائر كان له طرفان، الطرف الأول فهو الحركة الإسلامية، أما الطرف الثاني فيمثل النظام القائم آنذاك، الذي واجه في كثير من الأحيان تطرف الأول وغلوه بنوع آخر من التطرف ، ولم يستنفذ جميع ما لديه من الخيارات السياسية لحل الأزمة والعبور بالبلاد إلى بر الأمان، و يبدأ النزاع و يصل العنف إلى أوجه و يتخذ أشكالا معينة و مختلفة ، فبين رغبة السلطة الجادة في إعادة الأمور إلى نصابها باستعمال القوة و قهر المتطرف، وجد الشعب نفسه هو الضحية، ذلك أن السلطة هي الأخرى لم تخرج عن مفهوم الإخضاع و السيطرة من أجل تحقيق المصلحة العامة للبلاد، التي ارتأت بأنها ضرورية من أجل استتباب الأمن وإرجاع هيبة الدولة .

ولهذا لم يغفل النص الروائي عن هذا الموضوع بل كانت هنالك إشارات ترمز إلى هذا الموضوع داخل المتن الروائي،حيث قام الروائي من خلالها بتعرية الممارسات القهرية للسلطة و التوضيح لقضية جد جوهرية و التي تكمن في الإشارة إلى عنف آخر، ذلك العنف الذي يدور حول قضية فساد السلطة الذي يتمثل في "سوء استخدام السلطة بهدف الانحراف عن غايته و ذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذاتية بطريقة غير شرعية و دون وجه حق" [1].

وقد تعرضت النصوص الروائية بطريقة تفصيلية لموقف السلطة، حتى و كأنك أمام نص تاريخي اجتماعي من حيث طغيان الجانب الاجتماعي و التاريخي لهاته الفترة في المتن الروائي، حيث يتعرض سفيان زرداقة في روايته سادة المصير لمثل هذا الموضوع الذي يكشف فيه الجانب المظلم للسلطة إذ تعرض لفكرة "نشأة تعددية الأحزاب و كيفية إيقاف المسار الانتخابي من طرف السلطة الجزائرية، و ذلك لما له من اختلافات إيديولوجية لتوجهات الحزب الحاكم للبلاد آنذاك، هذا الإيقاف رافقه وكسبب مباشر توجه بعض من كان لهم نزعات تطرفية والدفع بهم بشكل مباشر إلى الخيار المسلح واستعمال العنف كحل بديل في استرداد الحق الضائع حسب رأيهم "[2].

كما تعرض رواية كراف الخطايا لعبد الله عيسى لحيلح * لظاهرة أخرى، و هي ظاهرة الاغتراب، التي لجأ إليها من خلال الشخصية الموظفة داخل المتن الروائي، و التي تكمن في الانطواء على الذات، و اختيار العزلة، عزوفا عن الناس و عن الأعراف الاجتماعية السائدة، و إنكارها للنظام القائم بكل ما يحمله من

---

[1] مصطفى عبد الغاني : قضايا الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ط1 ، 1999 ،ص 133.

*ينظر : عبد الله عيسى لحيلح ، كراف الخطايا ،

[2] سعاد عبد الله العنزي،صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية، ص 194.

إيديولوجيا ، حاولت هذه الرواية تجسيد التأزم النفسي للفرد الجزائري الذي حاول مقاطعة العالم الخارجي ، و اختارت العزلة بدلا عنه ، فبالرغم من كون الذات الإنسانية مجبولة و مفطورة على التعايش و التفاعل و الاحتكاك و إمكانية التصدي لأي مؤثرات خارجية، لضمان الاستمرار و الاستقرار، إلا أن المواطن الجزائري و بالرغم من شدة تحمله و تصلبه و هو ما لاحظناه (أيام الاستعمار) ،استعصى عليه التأقلم في وسط الدمار و الخراب فاختار العزلة و الانطواء، فقد وجد نفسه غريبا، بعيدا كل البعد عن هذا الوسط الذي كان يفوح برائحة الخيانة، هذا الوقت الذي تصدعت فيه كل المعابر، ومن هنا فقد " ساعدت بعض المشاكل التي كانت تشوب النظام الحاكم آنذاك على إحداث وضع طبقة سياسية مشوهة، جعلت الشخصية تعاني الخيبة و الإحساس بالغربة "[1].

إن فساد السلطة " يحدث و من دون شك، أثرا ووقعا على الأفراد، و السلطة بما فيها من أعلى هرم السلطة إلى أدنى مسؤولية محلية " [2]، لما تتصف بالجور و المكر لجلب متاع الدنيا فإنها تزيد وطأة الفرد و غربته . تتعدد الشخصيات في روايات كراف الخطايا "و ذلك نتيجة لتعدد الأهواء و المذاهب و الإيديولوجيات، و الثقافات و الحضارات و الهواجس"[3] .

فقد صورت الرواية السالفة الذكر الشخصية و هي منطوية و منعزلة، والتي لا زالت تائهة و ضائعة في دوامة البحث عن ذاتها المفقودة، "في كراف القرية الصغيرة يتمركز الفساد في الإدارة المحلية الرامزة تلقائيا للسلطة المركزية للوطن، يختار منها الراوي السلطات المحلية، و يعمد من خلالها إلى توظيف الفساد متخذا أفعالها دليلا تشتغل في النص لغويا كعناصر روائية، و في الوقت نفسه تولد دلالات أرادها الكاتب أن تكون سبب الأزمة و الفوضى التي حالت بالقرية " [4] .

لقد وظف الروائي شخصية منصور التي كانت شاهدة على أفعال رئيس القرية السيئة و فساد إدارته للقرية، و هذا هو الأمر الذي جعل من هذه الشخصية تدخل في حالة اغتراب ،إذ كان يستنكر أفعال الفساد السياسي و بغربته هاته اختار الطريق السيئ ، هذا ما اختارته هذه الشخصية في حين تعددت الأساليب لشخصيات أخرى و مرد ذلك كله عزلة المجتمع و الانسحاب منه.

---

[1] عز الدين جلاولي، سلطان النص، دراسات دار المعرفة ، باب الوادي ، الجزائر ، 2003، ص97.

[2] الشريف حبيلة، الرواية و العنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 166.

[3] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 73.

[4] سعاد عبد الله العنزي،صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية ،ص 178.

إن مسألة انسحاب الفرد من الساحة السياسية وانغلاقه على نفسه، تشكل خطورة بالغة الأهمية، خاصة وأن النفس الأمارة حين تعطي الحرية تتسم بالسلبية، ومن هنا بدأت تشكل الجماعات الإسلامية التي بدأت شيئا فشيئا تتصف بالعدوانية والعنف، لأن ما أخذ منها بطرق غير شرعية ، وعزلها عن حقها وأبعدها عن مكانها ، لن تأخذه منه إلا بالقوة، ومن هنا بدأت التكتلات والاجتماعات، وعرف ما يسمى بالجماعة الإرهابية .

التطرف :

هو عكس الوسطية، وهو أخذ الطرف بصورة مبالغ فيها، فمثلا شخصية المرأة في سعيها لكسب ثقافة المجتمع المتعلقة بالأنثى، تتطور لتصبح شخصية متطرفة في سلوكها وأفكارها، تحت حملة الانتقام من المجتمع وتقاليده. كان سبيلها إلى التغيير مشوبا بالعنف، تماما مثل ما فعل المتطرف الديني، الذي ساقته أفكاره العنيفة إلى سلوك عنيف في محاولة لتغيير المجتمع "[1].

لقد كشفت روايات فترة التسعينيات لطرف آخر ساهم في إشعال نيران العنف ، ألا وهو المتطرف الديني، الذي مثلته الروايات الجزائرية في شخصيات " تمارس العنف الذي يبدأ بفكرة تكبر شيئا فشيئا، ثم تتحول إلى تعصب " [2] لقد شغل موضوع العنف مساحة كبيرة في الرواية الجزائرية، التي ساهمت في بلورة هذا الحدث الجلل الذي أصاب الجزائر، فقد " شكلت رواية الموت والعشق في الزمن الحراشي، اللاز، الكتاب الثاني، البداية الحقيقية لإشارة وطار للحركة الإسلامية في الجزائر، وقد تواصل ذلك في الشمعة والدهاليز، والولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، والولي الطاهر يرفع يده بالدعاء ، حيث عالجت هذه الروايات الظاهرة الإسلامية، الحكم الإسلامي، جماعة الهجرة والتكفير ، الحركات الإسلامية المسلحة ، بشكل لم تتناوله الروايات السابقة " [3]، ففي رواية الشمعة والدهاليز*، نجد أن البطل يمقت وينتقد الأوضاع السائدة برمتها ، وهنا قد غاص في الدهاليز، لطالما رافقته هذه الدهاليز المكثفة بوابل من الأسئلة ، وهو في عزلة في منزله تنتابه، نوبة جنونية كانت مخبأة في اللاواعي ، أخرها عن طريق رقصة صوفية مجنونة .

---

[1] الشريف حبيلة ، الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الروايةالجزائرية المعاصرة ، ص66.

[2] نظر ، المرجع نفسه ص66.

[3] محمد صالح خرفي ، الديني والإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة روايات الطاهر وطار أنموذجا ، مجلة قراءات ، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها ، جامعة بسكرة ، ص 152.

ينظر: الطاهر وطار ، الشمعة والدهاليز ، منشورات التبيين ، سلسلة الإبداع الفني ، الجزائر ، 1995 .

إن موضوع الرواية كان عبارة عن مجموعة من الأسئلة التي لاحت في أفق الجزائر بحثا عن الحقيقة، من أحدث كل هذه الفوضى، لقد " عمل الراوي على ترك الشخصية حرية التعبير عن نفسها، وهي تحاور بطل الرواية في قضايا سياسية وفكرية تتمحور حول الدولة الإسلامية التي تنوي الحركة إقامتها، ومن خلال الحوار يبرز فكر المتطرف " [1]، وهكذا فإن هذه الرواية تصنف ضمن روايات تيار الوعي ." والحقيقة أن شخصيات روايات وطار لا تحمل هما إسلاميا، أو قضية إسلامية بل إنما تعيش الاستلاب والاغتراب الروحي " [2].

أما رواية سيدة المقام فهي رواية المجازر التي شهدتها الجزائر أثناء العشرية السوداء إذ تدور فصول هذه الرواية حول نهاية فتاة جزائرية تسمى مريم سيدة المقام صديقة الراوي، التي تواجه هول المجتمع الشرس، ونظرته له باستخفاف كونها راقصة بالي والتي تعاند وبإصرار في مواجهة الحياة الصعبة ، ولا تبالي، هي مريم التي أصيبت في يوم من الأيام برصاصة طائشة، تحضر حفلة لرقص البالي وترقص فيها إلا أنها تصاب بنزيف حاد جراء تلك الرصاصة التي ظلت مستقرة داخل رأسها . " إن واسيني الأعرج ينقلنا من الأخبار إلى الأفعال، يشد القارئ من يده كما يشد المحبوبة مريم، ويتجول به في شوارع العاصمة ، يدخل مطاعمها ومقاهيها ويشاهد الرقص في الأوبرا " [3] ، إذ تقدم روايات واسيني في تفاعلها مع التاريخ قراءة نقدية مثمرة تخترق الكتابات الرسمية ، وتنفذ إلى موطن التأزم لتسلط الضوء على المغيب والملبس والمهمش والمأزوم . وهذه رواية رشيد بوجدرة تيميمون ، يترقب بطله الأخبار الأليمة التي تصله والتي تدور كلها في وحل من الدماء والقتل، فهذا قتل وهذا اغتيل وهؤلاء يذبحون من طرف جماعات إرهابية .

---

[1] ينظر: الشريف حبيلة ، صورة المتطرف فغي الرواية الجزائرية المعاصرة ص01.

[2] المرجع السابق ، ص154.

[3] مخلوف عامر ، الرواية والتحولات في الجزائر ، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية ، ص 101.

الفصل الثالث
البنية السردية في رواية القلاع المتآكلة

بنية الشخصية في رواية القلاع المتآكلة
بنية المكان في رواية القلاع المتآكلة
بنية الزمن في رواية القلاع المتآكلة

البنية السردية في رواية القلاع المتآكلة :

ملخص رواية القلاع المتآكلة:

القلاع المتآكلة هي رواية جديدة صدرت مؤخرا لصاحبها محمد ساري، الذي حاول من خلالها تقديم صورة عن فترة التسعينيات (العشرية السوداء) التي عاشها الشعب الجزائري، إلى جانب تقديم نظرة نقدية لفترة السبعينيات التي مهدت حسب الروائي إلى تلك الفترة .

حاول الروائي محمد ساري الغوص في المسار الذي جعل الجزائر تتوه في سنوات الرعب، وذلك من خلال تقديم صورة لأحداث الجزائر منذ الاستقلال، و ذلك من خلال عرضه لقصة المحامي عبد القادر الذي عايش رفقة صديقه رشيد بن غوسة و سكان عين الكرمة، أبشع الجرائم التي اقترفتها الجماعات المتطرفة في حق المجتمع الجزائري.

اختار الروائي شخصية المحامي عبد القادر، ليصور من خلالها مدى الأسى الذي كانت تعيشه البلاد في ذلك الوقت ،أما رشيد بن غوسة، الشيوعي الملحد،فقد كانت شخصيته هي من مثل صلب العمل الروائي، من خلال تعرضه لمصيبة موت ابنه وفلذة كبده نبيل.

لقد كان نبيل ينتمي إلى الجماعة المتطرفة، وهو ما شكل خلافا دائما بينه و بين والده، الذي كان يمقت هذه الجماعة.

يدخل نبيل في حالة من الصراع النفسي،ويصاب بالإحباط، بعد أن أجبرته الجماعة التي كان ينتمي إليها بقتل والده الشيوعي، فهل يقتل والده ويستجيب لرغبة جماعته، أم يتمرد عليهم، إذ كيف يقتل اقرب الناس إليه، وهكذا فقد عاش نبيل في حيرة كبيرة، قرر في الأخير مغادرة الحياة بدل والده، فلجا إلى الانتحار.

وعبر تقنية الاسترجاع يعود بنا الروائي محمد ساري إلى أهم الأحداث السياسية، التي مرت بها الجزائر بعد فترة ما بعد الاستقلال، مختزلا الجزائر في قرية عين الكرمة، التي عاشت الفقر و الفوضى، ناهيك عن القمع و العنف، التي شهدتها الجزائر من تفجيرات و عمليات التقتيل ، و بشاعة الاعتقال.

تحليل رواية القلاع المتآكلة :

سعى الروائي من خلال روايته القلاع المتآكلة تقديم نموذج وعينة من العشرية السوداء التي مرت بالجزائر، حيث قدمها في أسلوب بسيط من حيث البنية السردية، هذه الرواية التي صدرت مؤخرا هي رواية جديدة للروائي محمد ساري، أعادنا بها الروائي إلى حقبة الإرهاب في فترة التسعينيات من القرن العشرين في الجزائر .

لقد حاول الروائي من خلال روايته عرض صورة الجزائر منذ الاستقلال إلا أن هذا العرض لم يكن وصفا وتصويرا فقط ، وإنما كان ممزوجا بنظرة نقدية للأفكار التي كانت سائدة آنذاك ، إذ تم من خلال هذه الرواية التعرض لمختلف العقائد الممارسة آنذاك، والعقليات التي ميزت فئات متنوعة من الشعب الجزائري . من خلال شخصية عبد القادر المحامي يصور لنا الروائي المشاكل التي يتخبط بداخلها المجتمع الجزائري ، وكأن عبد القادر هو عدسة الكاميرا التي ترصد الأحداث وتجسد الوقائع، وهذا كان سهلا على الروائي لأنه اختار له مهنة تناسب هذا الوضع، ذلك أن المحامي يهتم بقضايا المجتمع، وبالبحث عن الحقيقة والدفاع عن الناس، لقد اختار الروائي محمد ساري عبد القادر ليكون عينا تكشف لنا خبايا ذلك الوقت. كان عبد القادر غير متزوج وهذا الأمر الذي ساعده على كشف على كشف القضايا والغرق في البحث وراء كل غموض، فمن المعروف جيدا أن الزواج ارتباط ومسؤولية، يعني إعطاء حق وافر ووقت للبيت، لكن عبد القادر وبكونه غير متزوج قد ساعده ذلك على الوصول والتجول من مكان إلى مكان فهو ما بين البيت والمحكمة، فهو إنسان وطني يشعر بأسى كبير لواقع وطنه، عبد القادر الذي مارس مهنة التدريس في المتوسطة، حاول دائما التخلص منها وذلك لكونه رجل يحب الرفاهية، والعيش الكريم، وهذا ما أحاله إلى مهنة المحاماة التي فرح بنيل الشهادة فيها بل كاد يطير فرحا، حيث " كان اليوم الذي استخرج فيه شهادة الكفاءة المهنية للمحاماة من أسعد أيامه ، ليمسك الورقة التي مدها الموظف بتلهف، قربها من عينيه، فبرز اسمه كبيرا لا معا ملأ صدره اعتزازا ، رغب في الانفراد بقراءتها مثلما ينفرد العاشق الولهان برسالة حبيبته " [1] وهو لم يعرف أن العيش البسيط أحسن من الغنى الذي يودي بصاحبه إلى مشاكل ويريه عجائب الدنيا، ولكن ربما هي رحلة تعلم من خلالها الكثير، هي رحلة اكتشف من خلالها المجتمع الجزائري وهو في تلك العشرية السوداء .

[1] ينظر: محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، منشورات البرزخ ، دط ، الجزائر ، 2013ص37.

وفي عز الأزمة التي كانت تسكن الجزائر آنذاك إلا أن هذا لم يمنع عبد القادر من مجالسة رفقائه، كرشيد وعبد الله رائد الجيش المتقاعد، وشعبان مالك المقهى، يتبادلون في جلساتهم حديث السياسة وكلام الجرائد وفوضى الأفكار، والانحرافات الدينية التي سادت عقول الناس آنذاك .

يحاول الروائي ومن خلال عبد القادر وضع القارئ في الصورة ومن اللحظة الأولى ، إذ ترد الكلمات متتابعة متسلسلة والتي لا تنبئ بخير، إذ يستعمل منذ البداية كلمات الدالة على عنف الزمن، إذ من خلالها يستطيع القارئ التنبؤ بفحوى الرواية التي تدور مجملها حول عنف زمن التسعينيات، "القضية معقدة وخيوطها لا متناهية، قنبلة انشطارية مؤقتة ، تنتظر على أحر من الجمر و الغضب، انفجارها بين الفينة والأخرى ، وأنا على يقين من ألا أحد سوف يخرج منها سالما، فليستر الله ويحول مجرى الزوبعة الجارفة بعيدا عنا " [1] .

وبعد كل هذا تبرز شخصية أخرى تأخذ مهمة السرد على عاتقها، شخصية رشيد وهو مدير متوسطة، وبعدها أصبح مفتشا في قطاع التربية إلى أن وصل مرحلة التقاعد، إذ مثلت حياته في الرواية اللبنة الأساسية في الرواية، فقد تغيرت حالته، وانقلبت حياته بموت ابنه نبيل ذلك الطالب الجامعي، الذي وجد مقتولا مرميا بجانب بيته ، ذلك الشاب الذي صار يكن العداء لأبيه، فهما ينتميان إلى تيارين متعاكسين تماما في الرؤى والأطروحات، فالأب شيوعي، أما الابن فينتمي إلى الحركة الإسلامية"، وهكذا يدخل الطرفان في صراع مرير، فنبيل هو شاب في ريعان شبابه، غرس فيه أصدقاؤه المتطرفون أفكارهم وسمومهم، تدريجيا إلى أن أقنعوه بقتل والده الذي أصبح يخالفه التفكير والعقيدة، طلبوا منه قتله مبشرينه في ذلك بالجنة " إنك ستخلص البشرية من كافر وزنديق وأجرك عند الله عظيم .أنت أصبحت جنديا من جنود الله ومن المبشرين بالجنة " [2].

وبطبيعة الغريزة الإنسانية التي كانت في داخل نبيل استنكر هذا الفعل ، فكيف يقتل الولد والده ، والله حث على تمام الطاعة له، عقله يأمره بالقتل وقلبه يمنعه، وهكذا فقد عانى نبيل صراعا داخليا حادا، أصيب بالاكتئاب، واضطراب نفسي شديد ، بدأت الأسئلة تنهال عليه، كيف يقتل والده في حين أنه لا يود مخالفة ياسين صديقه المتطرف، كل ذلك عجل بإنهاء حياة نبيل ذلك الشاب الجامعي وانتهى بمأساة أليمة ، مأساة شلت حركة رشيد الذي كان ناقما أشد النقم على الجماعة الإسلامية .

[1] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ،ص7.
[2] المرجع نفسه ، ص226.

لم يكتف ساري بهذه القصة فقط وإنما حاول من خلال عملية الاسترجاع العودة إلى أهم الأحداث السياسية في فترة ما بعد الاستقلال، كانت الأحداث كلها تجري في عين الكرمة، تلكم القرية التي كانت في البداية تعاني من الفقر والفوضى، إلا أنها كانت جميلة بمزارعها ولونها الأخضر البهيج، الذي خلعته وارتدت حلة سوداء من خلال النزوح الريفي، "عين الكرمة لم تعد تلك الواحة الوارفة الظلال الدافئة الحضن التي آنست العيش بين أسوارها الآمنة "....تغير كل شيء كبرت المدينة واغتنت ولكنها فقدت براءتها وطيبتها " [1] وما زاد الطين بله، هو القمع والتفجيرات وعمليات التقتيل، وبشاعة الاختطافات، وهذا ما ظهر في الرواية من خلال عرض لبعض القصص وسير لبعض شخصيات الرواية، من ذك يوسف العياشي ، الشرطي سي احمد، هذا الأخير الذي تعرض للاغتيال .

لقد اهتم محمد ساري بمعالجة قضايا المجتمع وإشكالاته المعقدة باعتبار أن الفن هو التعبير عن الواقع ، فلذلك كانت أفكاره مستلهمة من الواقع . فقد بدأ الراوي منذ البداية بقضية يوسف العياشي، ذلك الصحفي الذي كانت قضيته في أتم وأوج تعقيدها، ينتقل بعد ذلك إلى قضية أخرى دون إكمال الأولى التي أشار إليها إشارة فقط وكأن الوقت آنذاك كان يتميز بهذه السرعة في الأحداث والقضايا، كل يوم قضية أغرب من الأخرى، لا يكاد ينهي قضية إلا وتدخل عليه القضية الثانية ،يستعمل الراوي عدة ألفاظ موحية إلى جو ذلك الوقت من ذلك : رصاص مسدس ..الغارقة في الصمت والعتمة ... صور المأساة ...شبه ظلام ... الصمت الرهيب .. أمام حقيقة الموت .. كانت رائحته تزكم الأنوف ... تبكي بصمت .

قضية الوطن و ضعف تسييره :

ومن خلال رشيد نتعرف على حال الوطن آنذاك، ذلك أن رشيد كان متشائما لحال الوطن، إذ يقول رشيد ساهرا : " ماذا نفعل بالوطن، الوديان تصب في البحر أو ثغور الرمال، الأرض مهملة، بور لا يخدمها أحد، البطاطا والقمح نستوردهما من كندا ، الأولى بنا أن نقيم صلوات الاستسقاء، ندعو الله فيها أن يسقط الأمطار في كندا، بغزارة، وبلا انقطاع، هكذا نضمن مصادر رزقنا فعلا، إن شر البلية ما يضحك .." [2].

أما في موضع آخر فيظهر السارد مشكلة أخرى من المشاكل التي وقع فيها المجتمع آنذاك، وهي حال الإدارة في ذلك الوقت، إذ عجزت الإدارة عن التسيير و كان يشكل عائقا ومشكلة كبيرة، ضف إلى ذلك حال المستشفيات أيضا التي يبدو

[1] المرجع السابق ، ص 18.
[2] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص10.

رشيد متذمرا منها، " بدا في المستشفى كزربية بشعة بروائحها الكريهة، وركام الأوساخ المرمية هنا وهناك، المراحيض بلا مياه ، أبوابها مكسرة، لا نظافة ولا حياء ....كأنك في سوق الحراش، فوضى عارمة، لا تفرق فيها بين الطبيب والممرض، والمنظف والبواب والزوار المتجولين " [1] ، لا يوجد شخص مسئول تتحدث معه، ويوجهك إلى مقصدك ، الكل مشغول وغير مستعد للجواب عن استفسارات المرضى وذويهم، كما يطرح مشكلة صديقه رشيد الذي طرد من مكان مسكنه بسبب تقاعده، فأين يذهب بعد هذا العمر .

قضية المرأة :

لم تنس هذه الرواية المرأة التي اتخذت حيزا وافرا داخل هذا المتن الروائي، فقد جسدت هذه الرواية أوضاع المرأة المختلفة، في الجامعة، في البيت، في الحقل، في المستشفى، كما ذكرت الفئات بحسب الطبقات مطلقة أو أرملة، إلا أنها صورت بكثرة لمعاناة المرأة الأم من خلال عدة نماذج، خاصة الأم التي فقدت أبنائها جراء العنف ، وقد برزت بهذا الصدد عدة شخصيات ، منها نصيرة التي فقدت ابنها نبيل ، إنها صدمة شلت جميع حركاتها، وغيرت صفو حياتها، فمنذ وفاة نبيل فقدت الشهية في الطعام، كأنها مضربة عن الطعام " ....إن وفاة ابنها الوحيد صدمة، ليس من السهل تحملها " [2].

وهذه والدة عبد القادر هي أيضا تجرعت مرارة فقد ابنها البكر الميلود الذي أنار الطريق لأمه وأخيه، فقد كان يعمل حتى يعوض أمه وأخاه ما عاناه في الحياة، وكان هو الوحيد المعيل لهما، ينتظر بفارغ الصبر حاملا معه الأكل والهدايا، لكنها وللأسف فقدته يوما ما، فقدت ابنا في عز شبابه، فكانت دائما تردد بغضب : " الميلود لم يمت موتا طبيعيا، لقد قتلوه، ولن أسمح لهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو مات بمرض ما، لقلت قضاء وقدر، أما أن يقتلوه، فهي جريمة يعاقبهم عليها الله ويحرقهم في قاع جهنم مثلما أحرقوا قلبي " [3].

أما والدة يوسف فهي تتوسل إلى ولدها وفلذة كبدها يوسف عياشي، أن يسلم نفسه إلى الشرطة، فكونه سجين بالنسبة لها أهون من وجوده تحت التراب، فهي كانت أرملة ليس لها إلا ابنها العياشي يوسف :" أطلب من الله أن يأتي بالشرطة في هذه اللحظة كي تقبض عليك، فالسجن أرحم من الموت، أفضل زيارتك مرة في

---

[1] المرجع السابق ، ص70.
[2] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص
[3] المرجع نفسه ، ص 197.

الأسبوع والتحدث إليك ولو لخمس دقائق، على أمل أن تخرج وتعود إلي فأزوجك وأعيش آخر أيامي مع أحفادي، عوض زيارة قبرك صباح كل جمعة " [1]

القضية الثالثة : قضية الأسرة الجزائرية

لقد برزت قضية الأسرة في هذه الرواية بالذات من ذلك أسرة رشيد التي بدأت تنهار، تتكون هذه الأسرة من أب عنيد شيوعي، وأم مسكينة مدرسة لغة انجليزية، وإبن له توجه عكس تيار والده، وفتاة لها كامل حرية التصرف، إنها عائلة مثالية، لكنها في الظاهر فقط، أما في الباطن فعكس ذلك، فالأب والابن دائما في نزاع ونقاش حاد، وبينهما هاته الأم المسكينة التي هي بينهما تهدئ من هذا وذاك. يقتل الابن فينهار الأب وتمرض الأم .

أما عائلة عبد الجبار فهو : " الطفل الوحيد وسط أخوات كثيرات، بعضهن متزوجات ولهن أطفال، الأب محرج من أفعال ابنه، إنه غير راض عن انضمام ابنه إلى حزب الإسلاميين، لأنه ينتمي إلى منظمة قدامى مجاهدي ثورة التحرير " [2]

أسرة عبد القادر : التي تتكون من الأب، الأم، الأبناء ميلود، عبد القادر، والأخت الصغرى، هي أسرة فقيرة، تسكن كوخا صغيرا، الأب مريض ودائم السعال، وكذلك البنت إلا أن الأم مقدامة وصبورة على صعوبة العيش .

قضية المثقف :

المثقف في الرواية : لقد عمل محمد ساري على تجسيد محنة المثقف في روايته ولم يدخل في ذلك ، والمثقف هو ذلك الشخص المالك للمعرفة ، من ذلك المحامي عبد القادر : وهو مثقف إشكالي لم يكن يروق له حال البلد ، وضياع شعبها ، لكنه من جهة غير مبالي ، بحيث كان داما يبتعد عن الشبه ويخشى على نفسه .

أما رشيد بن غوسة : فهو العلماني مدير المتوسطة هو أيضا مثقف إشكالي بحيث كان دائم السخط على هذا الوضع ، والتذمر منه ، وبحكم أنه كان متقاعد وبعد فقده لابنه ومرض زوجته تماثل لليأس ، وخلع لباس القوة وارتدى لباس الخضوع.

نصيرة كانت شخصية إشكالية هي الأخرى .

نبيل هو شخص سلبي لأنه وقع ضحية، ولم يكن قوي الشخصية كفاية ، إذ أنهى حياته بالانتحار .

---

[1] المرجع نفسه ، ص

[2] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص 127

يوسف العياشي : شخصية سلبية في بداية الأمر، وبعدها تحول إلى شخصية إشكالية ، لأنها لم ترضخ للواقع ، وحاولت التخلص منه.

عبد الجبار شخصية سلبية ساهمت في ازدياد العنف والاغتيالات المتتالية .

لقد كان الروائي دائم الإشارة إلى العنف إذ كان يستحضر مشاهد الاغتيال والجثث ، والتخريب وهو يتساءل عن سبب هذا العنف الذي استقر بالجزائر " فكيف نفسر انتشار العنف في الجزائر وعبر جميع الفترات التاريخية " [1] ، " إن حال البلد لا يبشر بخير ، فهو على فوهة بركان قد ينفجر على رؤوس الجميع ،بين الفينة والأخرى ، الحل الوحيد الباقي لمن أراد أن يعيش ولا يغدر برصاصة طائشة ، أو يتفتت جسده إربا إربا بفعل تفجير جنوني هو الهجرة ، الابتعاد بمسافة سبعة بحور كما تقول جدتي ، عن هذا البلد اللعين ومن يتصور أنه سيغير الوضع برفع السلاح ، فهو واهم ولا يعرف شيئا عن العسكر الذين يسيرون هذا البلد بقبضة من حديد " [2] ، وعليه يمكن القول بأن رواية القلاع المتآكلة تبدأ من اكتشاف جثة نبيل ابن رشيد صديق المحامي عبد القادر ، لتنتهي بالقضاء على الجماعة الإرهابية التي نغصت معيشة المواطن ، كان بطلها المحامي هو الذي يتولى السرد في معظم الرواية إلا أنه كان بين الفينة ولأخرى يفسح المجال للشخصيات الأخرى التي أخذت كذلك جزء كبير من عملية السرد ، خاصة في تقديم بعض التفاصيل مثل شخصية يوسف العياشي حينما تحدث عن عائلته ، وكذلك حميد في ذكر تفاصيل السرقة وكذلك نبيل عبر يومياته .

إن موضوع الرواية الأساسي هو العنف في فترة التسعينيات وهو حاضر الرواية ، إلا أنه وعبر تقنية الاسترجاع كنا نغوص في تفاصيل القصص الخاصة بالشخصيات للرجوع إلى الماضي ، الذي من خلاله برزت لنا مرجعية نشأة ذلك الواقع المتردي لفترة التسعينيات ، لقد طبعت الرواية بطابع اجتماعي عرضت لنا عقائد وسلوكيات المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه ، من شيوعي يستنكر ما يحدث في الوطن ، ولا مبال مثل المحامي ، والمتطرف مثل نبيل ، وشعب مظلوم كالأمهات .

لقد حاول الروائي في كثير من الأحيان ذكر التفاصيل بمعناها الدقيق ، لكنه أجمد النص بذلك ، إذ بدا الإطناب فيها واضحا ، وكان كثيرا ما يتخلله التكرار ، كما كان الاشتغال على اللغة بصفة مبالغ فيها .

---

[1] المرجع نفسه ، ص182.
[2] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص 168

وهكذا فقد سعى الروائي إبراز الصراع الذي كان قائما بين أطراف شتى آنذاك ، إذ بلغ الصراع أقصاه ي هذه الرواية حينما عزم الولد على قتل أبيه ، باعتبارهما ينتميان إلى تيارين مختلفين ، فهو شاب متعاطف مع التيار الإسلامي وأطروحاته ، وأب يساري متطرف ، لكن هذا الأب وبعد فوات الأوان ينتبه إلى مسؤوليته ويلقي اللوم على نفسه ، في ترك ولده ينتمي إلى هذا التيار، لكن بعد ماذا ، ومن هنا تحيلنا هذه التحليلات إلى دلالة العنوان ، فالقلاع المتآكلة إنما هي الايدولوجيا التي لم تعد قادرة على مده ، أي المتطرف بطاقات الإقناع والتبرير والتعبئة أو حمايته من الضربات التي تأتي من هنا وهناك ، فالتطرف يؤدي في كل حالاته إلى اهتزاز موقف المتصف به وإضعاف حجته " فالتيار العلماني الماركسي الذي يرى أن مشروعية السلطة تعود إلى العقل بينما ينظر التيار الديني إلى مصدر المشروعية على أساس أنه مطلب إلهي لا بد أن يتحقق اليوم أو غدا "[1] ، وبين الماركسية والحركة الإسلامية يحاول النظام الحفاظ على موقعه انطلاقا من مشروعيته التاريخية الثورية .

من هنا يظهر لنا تطابق فني وفكري بين العنوان والمتن الروائي ، فالقلاع دلالة على الحصن والتحصين ، السلطة ...الخ وهو يذكر بالجمع يعني ليست قلعة واحدة وإنما هي قلاع ، أما كلمة متآكلة ، التي سرعان ما تذهب بنا إلى التآكل أي تضمحل ، كما يتآكل الحديد ، فهي بذلك تنبئ بصراع أطراف يأكل بعضها بعضا ، وعلى حسب المتن الروائي كان فيه صراع عدة أطراف كما كانت بعض الأطراف التي بدت عاجزة مستسلمة بدأ اليأس يدب فيها ، كما لاحظناه بالنسبة إلى رشيد الذي يمثل الجانب اليساري الذي يخبرنا عنه عبد القادر :" زرته في بيته مساء ، وجدته غارقا في حزن يائس ، حاولت مواساته بحديث أردته بعيدا عن الأحزان والأشجان ، ولكنه كان ينظر إلى باستغراب صامت تارة ، وتارة أخرى يرد علي بعبارات لا علاقة لها بموضوع حديثي ، لم يكن يسمع كلامي ، كان سجين مناجاة نفسية ، قاصمة تهده من الداخل ، فجأة انفجر ببكاء مر ، كان يشهق بصوت مسموع ، بكاء هستيري مزق قلبي ، يرافقه هذيان متقطع لم أفهم منه إلا اسمي ابنه وزوجته وبعض الألفاظ المعبرة عن فشل حياته ، بل وانتهائها " [2] .

هذا هو رشيد ، فقد هدته الحياة وقصمت ظهره ، وهو الذي كان لا يهزم ، يتحدى الصعاب ، كجلمود صخر ، فكأنما قلعته تآكلت بعدما كانت شامخة .

---

[1] علال شنقوقة ، المتخيل والسلطة ، في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2000 ص84.
[2] محمد ساري ، القلا المتآكلة ، ص 208.

أما في المقابل ، تجد عبد الجبار الذي يمثل التيار الإسلامي ، فبعد تلك القوة والجبروت والثقة بالنفس ، هاهو يساق إلى مصيره ، هاهو " عبد الجبار بقامته ، ولحيته الكثة ، وهو يحدثني بلهجته الواثقة داخل الغرفة المظلمة ....كانت لحية عبد لجبار ماثلة تتصدر الوسط ، هاهو إذن القائد الذي أراد أن يؤسس نظاما سياسيا وأخلاقيا جديد بالحديد والنار ... " [1] وبهذا ينهي الروائي محمد ساري روايته .

تحضر الإيديولوجية الماركسية في هذه الرواية ، والتي تعبر صراحة عن قناعاتها وأفكارها ، ورؤاها حول ما يدور في المجتمع ، وهي تبدو في أتم صمودها ، وتعنتها وتمردها إلا أنها سرعان ما تنهار ، لأن ما يحدث في الجزائر آنذاك كان فوق جهدها وخارج توقعاتها ، لقد طرح الروائي هذه المسالة في فترة التسعينيات غير انه يذكر بما حدث في الستينيات و السبعينيات بين الشيوعيين و الإسلاميين في حقبة الهواري ابو مدين .

ولأن الرواية فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية والانفتاح على أشكال جديدة ، كان لابد لمحمد ساري من تطويع أدواته التعبيرية ، وذلك من خلال تضافر الروافد الثقافية سواء الشعبية أم الثقافية ، وهذا هو عين ما لاحظناه في رواية القلاع المتآكلة ، إذ كانت هناك توظيف واضح لبعض الأمثال الشعبية . وكذلك من خلال بعض المقاطع الشعرية ، وأسماء أدباء ومفكرين وهذا إنما يدل على الخلفية الفكرية والمرجعية الثقافية التي يتميز بها الروائي ، كما حاول الروائي إدخال الدارجة الجزائرية من حين لآخر

[1] المرجع نفسه ، ص133.

المبحث الأول :
بنية الشخصية في رواية القلاع المتآكلة

بنية الشخصية في رواية القلاع المتآكلة :

تحتل الشخصية منزلة إستراتيجية في النص الروائي ، إذ بها يتم ترابط عناصر الرواية ، وبما أن رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري ، ذات علاقة وطيدة بالواقع ، وملامستها للرؤى الإيديولوجية في المجتمع الجزائري ، كان لزاما أن يؤثر مثل هذا الجانب أي المضمون في طبيعة التقنيات السردية ، خاصة وأن الشخصية تساعد على ائتلاف عناصر المتن الروائي وانسجامها .

تستمد الشخصية في رواية القلاع المتآكلة بنيتها من خلال مضمون الرواية ، باعتبارها " رواية سياسية تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب والتحكمي ، حيث تصل تلك الأفكار إلى لا شعور الشخصيات بكل مظاهرها العميقة ، والمثيرة للمشاكل ، لدرجة أنها تلاحظ عبر تصرفاتهم ، وهذه الشخصيات نفسها واعية بانتمائها الإيديولوجي السياسي ، وهي تفكر على أساس تأييد أو مجابهة المجتمع ، وتفعل ذلك باسم وتحت إلحاح الإيديولوجية " [1] .

إن طبيعة الموضوع المعالج في هذه الرواية " القلاع المتآكلة " ألزم الروائي اختيار شخصيات تتلاءم والجانب المضموني للرواية ، هذه الشخصيات التي ترى أن بإمكانها التعبير عن الإيديولوجيات الموظفة داخل المتن الروائي ، وهذا ما هو ملاحظ بالفعل على رواية القلاع المتآكلة ، فقد برزت الشخصيات الإيديولوجية في المتن الروائي والمتمثلة في الشخصية الماركسية التي ظهرت في شخصية المدير المتقاعد. رشيد بن غوسة ، الشخصية الإسلامية في شخصية نبيل ، ياسين ، عبد الجبار ...الخ

لقد عاد الروائي محمد ساري في هذه الرواية ، القلاع المتآكلة إلى سنوات الإرهاب ومآسيها في التسعينيات ، عبر من خلالها عن قصة المحامي الأعزب عبد القادر ومعايشته رفقة صديقه رشيد بن غوسة ، وسكان عين الكرمة ، لبعض أبشع الجرائم التي ظهرت في فترة التسعينيات .

عبد القادر : هي شخصية بطلة في هذه الرواية بحكم أنها تستلم السرد من البداية ومن حولها تدور القضايا ، خاصة وأنها تربط بين عناصر المتن الروائي ، وبين أحداثه ، حيث أن الكاتب يتعمق في كشف هوية بطل الرواية ، خاصة عرضها لتفاصيل حياته منذ صغره ، إلى تتبع حركاته ، إذ أنه ومن خلاله نتعرض ونتعرف على باقي شخوص وأحداث الرواية .

[1] طه وادي ، الرواية السياسية ، الشركة العالمية المصرية للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 2003 ، ص 49.

إن الروائي البارع هو الذي يستطيع أن يصور شخصيات فنية مقتنعة بطبيعة الدور الذي تؤديه ، بحيث تتعدى إطار الشخص إلى الشخصية ونمط الفرد إلى نموذج الإنسان ، ومن هنا فإن طه وادي يرى بضرورة إظهار الشخصية كما يجب ، حتى تتميز بالإقناع إلا أنه لابد من معرفة كيفية التقديم لها خاصة وأنها هي التي تساعد على ضم أحداث وجعلها لحمة واحدة ، إذ على القارئ أن لا يكشفها من الوهلة الأولى ويعرف كل مميزاتها وصفاتها وإنما ينبغي أن تنمو الشخصية بنمو الحدث حتى يحس القارئ أن يكتشف مع كل فصل من فصول الرواية أمرا جديدا ، يثير الدهشة ، ويلفت الانتباه ، لأن عنصر التشويق من أهم عناصر القص " [1] .

في بداية الرواية يعرفنا الكاتب بشخصية المحامي عبد القادر الذي يقوم بمهمة السرد وهو لا يكشف مهنته بطريقة صريحة ، وإنما يستدعي بعض المصطلحات الدالة على عمله " لقد زارتني اليوم في مكتبتي ....شكت لي أحوالها للمرة الألف ... كما توسلت إلي أن أخلص ابنها من غياهب السجن " [2].

لكن اتصال رشيد يقطع السرد ، وتبدأ الأحداث تتصاعد ، وهنا يستلم عبد القادر سرد الأحداث ، ويسترجع أيامه الأولى بصفته مدرسا قبل التحاقه بمهنة المحاماة " عين الكرمة التي آنست العيش بين أسوارها الآمنة ، منذ اليوم الأول الذي نزلت فيه من الحافلة ذات صباح سبتمبري ، أتأبط محفظة صغيرة تحوي أول تعيين لي مدرسا في متوسطة ابن باديس " [3] ، كانت لهذه الشخصية علاقات بالشخصيات الأخرى ، وبخاصة وأنها كثيرا ما كانت تحاول التدخل في سلوك الشخصيات ، وفي اختراق أفكارها وكشف أسرارها ، كما كان مسموح لها بالتدخل في سيرورة أحداث الرواية والتعليق عليها مما أكسبها وظيفة الراوي التي منحها له الروائي بعلاقة خاصة تبدو معقدة ومتشابكة في أحيان كثيرة ، فالروائي الكاتب الذي يعمد إلى اختيار إحدى شخصياته لتقوم بعملية السرد ، ويسند إليها مسؤولية تتفرد بها عن شخصيات روايته ، وهذا ما يوطد أواصر الصلة بين السارد الروائي والسارد الروائي " [4] .

وبطبيعة الحال فإن شخصية الراوي عبد القادر ولكونه محامي ، مهمة سهلت عليه التدخل في سيرورة الأحداث والكشف عن بعض الشخصيات والقضايا ، كما كانت مساعدة في مدنا ببعض التفاضيل المساعدة على فهم النص ، خاصة عن طريق استرجاعه للماضي ، خاصة وأن الرواية كما ذكرنا كانت مهتمة بالبحث

---

[1] المرجع السابق ، ص124.
[2] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص 11.
[3] ينظر :المرجع نفسه ، ص18.
[4] سحر شبيب ، البنية السردية والخطاب السردي في الرواية ، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها ، فصلية محكمة ، العدد الرابع عشر ، صيف 2003 ، ص110.

عن أسباب نشوء هذه الأزمة التي مرت بها بالجزائر ، وهو الأمر الذي كان يتطلب من الراوي العودة للماضي من أجل فهم الحاضر .

ولم تكن مهمة المحاماة هي الوحيدة التي سهلت المهمة فقط ، بل تميز هذه الشخصية واتصافها باللامبالاة أيضا ، ساعد على تسهيل المهمة إذ لم يكن في أي دائرة ، كان صديق لشيوعي ، وفي الوقت نفسه دافع عن قضية المشايخ الذين سجنوا وكذلك كان زميلا لمحافظ الشرطة ، وهكذا فإنه كان يتجول بين هذا وذاك دون أي إشكال خاصة وأن الرواية جل أحداثها كانت تدور حول التيارات الثلاث ، المد الشيوعي ، التطرف الإسلامي و النظام العسكري .

لقد كانت الرواية ، تستحضر الجانب السياسي حيث تستعرض للصراع القائم بين التيارات الإيديولوجية ، وعلى ذلك كان لابد للروائي من توظيف " الشخصيات التي تمارس السياسة في الرواية ، التي يجب أن تكون مؤهلة لذلك اجتماعيا وفكريا داخل المبنى الروائي حتى تصبح قادرة على الإقناع بما تقول وتفعل في إطار أحداث الرواية " [1] ، إن شخصية عبد القادر كانت اختيارا موفقا من قبل الروائي محمد ساري خاصة وأنها كانت واعية لواقع المحيط حولها ، إذ تناولت التعليم في مجال التاريخ ، وامتهنت مهنة المحاماة التي مكنته من القدرة على التدخل في سير الأحداث والاسترجاع ، وعليه فإن شخصية الراوي كانت جديرة ومؤهلة لمثل هذا المكان خاصة وأنها تتمتع في تكوينها بالجانب الثقافي ، التاريخي والسياسي .

قد حاول الروائي محمد ساري في روايته القلاع المتآكلة التعرض لأزمة عانت منها الجزائر مدة عشرية كاملة لذلك كان لزاما عليه أن يهتم بشخصيات الرواية ، خاصة وأنه لا يمكن تصوير مجتمع ما دون شخصيات فاعلة فيه وفي أحداثه ، ذلك " أن المنهج البنيوي التكويني يرى أن الشخصية الروائية هي التعبير الأمثل عن فكر جماعة اجتماعية معينة ، لأن وعيها جزء من الوعي الجماعي ، ولأن رؤيا للفئة الاجتماعية التي ينتمي الروائي إليها " [2] .

رشيد بن غوسة : هي شخصية تنتمي إلى المد الشيوعي الماركسي ، تظهر منذ البداية ، لكنها لا تأتي متواصلة فهي من حين لآخر ، تتسلم مهمة السرد ، إن المقصد من استحضار هذه الشخصية إنما هي التعبير عن فئة معينة من الشعب الجزائري في ذلك الوقت ، وهي الفئة التي تنتمي إلى التيار الشيوعي الماركسي ، لقد احتلت قضية هذه الشخصية جزءا كبيرا من مساحة الفن الروائي ، حاول الروائي من خلال هذه الشخصية إبراز عقيدة والأفكار المتشبعة لهذه الفئة ، التي

[1] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 86.
[2] محمد عزام ، شعرية الخطاب السردي ، دراسةمنشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2005 ، ص 20.

ظهرت في كذا موقف ، حيث أبدت هذه الطائفة عقيدتها ورؤاها من ذلك قول رشيد بن غوسة : " إن الصلاة والدعاء إلى الآلهة الساكنة في السماء عادات وثنية ، ابتكرها الإنسان في مرحلة ضعفه وجهله " [1] ، وهاهو في موقف آخر يعترف بوثنيته " تغير المجتمع من حولي وأن لاه بما يأتي من الغرب من تمرد كلي على نواميس المجتمع القديمة ، تحرر المرأة ، تخلي الرجال والنساء عن إقامة عقد الزواج ، والعيش معا بلا تلك القيود ، الأخلاقية المرتبطة بالزواج الرسمي " [2] ، رشيد بن غوسة هو شخصية مثل من خلالها الكاتب الفئة الملحدة الشيوعية التي كانت تعاني من صراع إيديولوجي ، وهي التي تمجد العقل ، وتلغي كل ما يتعلق بالروحانيات ، والعقائد الإسلامية . وهو يصرح بذلك : " في أيامنا كانت الجامعة معبدا للمعرفة والعقل والتنوير ، فأضحت اليوم وكرا للتطرف ، والجهل والتعصب ، والخرافات البائدة ....في منتصف السنة الأولى ، حينما دخلت علينا بقميص أفغاني ولحية عتروس " [3] ، خاصة و أن الإيديولوجية في نظره إنما هي جملة من التصورات التي يؤمن بها والتي في نظره تساعد على إبراز القيم داخل المجتمع ، غير أن الرواية ، وباعتبارها أكثر الفنون الأدبية انفتاحا على الفنون الأخرى ، نظرا لتنوعها البنيوي ، وطبيعتها الراصدة ، التي تقدم لنا وعيا خاصا للحياة ، سواء ارتبط هذا الوعي بلحظة راهنة أم ماضية ، حاولت رواية القلاع المتآكلة رصد الصراع القائم بين التيارات آنذاك ، حيث لم يكتف بالإشارة إلى الإيديولوجية الشيوعية ، وإنما كان للتيار الإسلامي وجود ومكان في هذه الرواية والذي برر بشكل لافت خاصة مع بعض الشخصيات وهي كالتالي :

بداية نبدأ بنبيل ابن رشد بن غوسة ، الذي كان صراعه مع والده دائما يصل إلى صراع حاد ونقاش عميق ، فنبيل ذلك الشاب الجامعي ، الذي يعيش وسط أسرة مستقرة ، وجد مقتولا بجانب منزله ، هذا الشاب الذي انتمى إلى الحركة الإسلامية التي يرى فيها رشيد بأنها " تلك الجماعة التي لا تحب الخير للبلاد والعباد ، إنها جماعة ضالة ، تتستر وراء الدين لخدمة مصالح أمريكا الإمبريالية ، والمماليك النفطية العربية ، وجماعات الجهاد الأفغاني ، تمولها أمريكا الامبريالية في حربها ضد روسيا الاشتراكية ، وما الدين إلا غطاء لإغراء الشعوب الفقيرة المؤمنة بحمل السلاح ، الصراع صراع مصالح اقتصادية وليس صراع قناعات وإيمان " [4] ، في الجهة المقابلة نبيل الذي يتذمر من سلوكيات والده ويتهمه بالكفر والزندقة .

---

[1] محمد ساري القلاع المتآكلة ، ص89.
[2] المرجع نفسه ، ص 93.
[3] المرجع السابق، ص 96.
[4] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص12.

لقد تميزت شخصية رشيد بالصمود والعناد ، والتذمر لما يحدث بالمجتمع الجزائري ، الذي يرد سببه إلى الجماعة الضالة ، فهو يقر بعدم الاستسلام والخضوع ، حينما يخاطب عبد القادر المحامي : " الله غالب عليك وعلى أمثالك ، أما أنا فما دامت قطرة دم تسيل بعروقي لن أستسلم ، لا للسلطة العسكرية القمعية ولا لجنود الظلام الوحوش ، أقاومها معا إلى أن تطلع الروح من هذا الجسد " [1] ، وعليه فإن من هذا الصراع والتناقض بين الإيديولوجيات ينبثق التغيير الذي يعمل على تفجير هذا التناقض وتوليد المعنى " [2] ، من هذا القول نستشف أن الإيديولوجية تدخل عالم النص الروائي كمكونات فنية ، يلتقطها الروائي ويدخلها في صراع تصادمي ، لتقرر في الأخير وعي الكاتب بواقعه ، هذا ما حدث في رواية القلاع المتآكلة إلا أن الروائي هو في الأخير يصور لنا الإيديولوجيات وهي كالقلاع تتآكل أسوارها ، رشيد ذلك الرجل الذي كثيرا ما كان متشبثا برأيه ، يحتقر تطرف ابنه ، وينزعج من وضع وطنه ، هو اليوم يتآكل ، ويضمر ، يتلاشى فحادثة ابنه نبيل كسرت صخرة قلبه ، أما مرض زوجته ، فقد كسرت ظهره فهو كشجرة عملاقة صامدة ، مر الدهر لكن جاء الأوان لكي تقطع فسقطت مستسلمة . " هكذا يا بني ، أدخلوك إلى حفرة الأوهام ، فأصبحت درعا لهم ، وسهما ضد أبيك وضد نفسك أخيرا .." [3] ، أما شخصية نبيل فهي تمثل فئة الشباب الذي جرفه المد ، أو كما وصفه والده رشيد " آه يا نبيل ....حطمتني في كبري وأنا الذي اعتبرتك سندا لي تدحرج بي الأيام " [4] .

وهكذا فإن الروائي محمد ساري ، في روايته القلاع المتآكلة ، يحاول من خلال روايته تقديم صورة متكاملة ومكثفة عن الأحداث والشخصيات ، لكننا نلحظ أنه بين الحين والآخر يعطي للشخصيات الأخرى حقها في السرد ، وهذا ما نلمسه من خلال يوميات نبيل ، الذي يصرح فيها عن الأحداث التي مرت به ، تتميز هذه الشخصية برمزيتها ودلالتها ، فهي شخصية برزت على مستوى السرد ، وساهمت في نمو الأحداث وتطورها ، فانتحار هذه الشخصية شكلت تساؤلات ، وبحث عن الأسباب ، من خلال هذا المشوار كانت تصادفنا هذه الشخصية بين الفينة والأخرى ، وهي قد شكلت نقطة مهمة كقضية كانت موجودة في وقت التسعينيات . وتبعا لمسار هذه الشخصية –نبيل – كان تتبعنا لنمو مظاهر العنف وصعود وتيرة الصراع وتأزمه ، ومن خلالها تمكنا من حل شفرة قضية القتل .

---

[1] المرجع نفسه ، ص16.
[2] إبراهيم عباس ، الرواية المغاربية ، تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي ، ص 60.
[3] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص 94.
[4] إبراهيم عباس ، الرواية المغاربية ، ص94.

عرفت هذه الشخصية بتكرار تواجدها كغيرها مثل الراوي عبد القادر ، ورشيد ، ويوسف العياشي ، وذلك مرده إلى اشتغال تلك الشخصيات على استرجاع مواقف ، وإعادة التذكر بالأحداث الماضية أو المقارنة بين موقعين أو لرصد موضع الشخصية في مرحلتين مختلفتين مثل ما حدث ليوسف العياشي في هذه الرواية الذي " نشر أخبار مغرضة تمس هيئة نظامية ، في تحقيق صحفي نشره يوسف العياشي في جريدة الأخبار الأسبوعية ، تتحدث عن اختفاء بعض الشبان من قرية عين الكرمة وبالضبط من حي البراريك " [1] ، ومن هنا نلاحظ تعرض هذه الرواية لشخصية الصحفي ، يوسف العياشي الذي وجد نفسه داخل زنزانة لا يعرف متى يخرج منها ، لكنه في موقف آخر ، وبعدما يفر من السجن مرغما مع جماعة مسلحة يستنكر أفعالها يحاول الاستسلام للواقع ، وتسليم نفسه لكنه تأخذه المنية قبل ذلك .

أما عبد الجبار فهي شخصية تمثل التيار الديني المتطرف والتي تحاول جاهدة وبأي طريقة إقامة خلافة إسلامية ، ومن الشخصيات التي مثلت هذا التيار شخصية ياسين وحميد الذين أرغمتهم الحياة إلى سلك هذا الطريق ، هذا التيار الذي كان وظل صامدا إلى أن تهاوت أسواره وانهد بناؤه .

الشرطي سي أحمد : هي شخصية كانت تمثل النظام وترمز إليه ، حاولت هذه الشخصية الكفاح عن الوطن ، وحماية شعبه بتوفير الأمن و الاستقرار إلا أنها لقيت حتفها في الأخير .

[1] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص 23.

المبحث الثاني :
بنية الزمن في رواية القلاع المتآكلة

بنية الزمن في رواية القلاع المتآكلة :

يشكل الزمن عنصرا مهما في تشكيل النص الروائي ، فمنه " تنطلق أبرز التقنيات السردية ، حيث يفرق بين زمان الحكاية التي تعرض مجموع أحداث الحكاية بطريقة علمية، حسب النظام الطبيعي الخارجي الذي يخضع للترتيب الزمني و للأسباب و المسببات ، في مقابل زمن القصة أو الخطاب الذي يتألف من الأحداث نفسه إن لم كن بطريقة فنية تتجسد في تقنيات أو جماليات الارتداد و الاستباق و الاستبطاء..."[1]، ومن هنا تأتي أهمية الزمن باعتباره أحد المباحث الرئيسية المكونة للخطاب الروائي إذ لم يكن بثورته، " فالأحداث تسير في زمن، الشخصيات تتحرك في الزمن ومن الفعل يقع في زمن، الحرف يكتب و يقرأ في زمن، و لا نص دون زمن"[2]

لقد حاول النقد الشكلاني بناء تصور نظري للزمن الروائي، التي تمخض عنها طرائق تحليل هذا الزمن في الرواية ، و قد كانت جهود جيرارد جنيت هي الجهود البارزة ، فهو الذي فرق بين زمن القصة و زمن الخطاب، أما زمن الخطاب فقد كان يدور حول ثلاث محاور : الترتيب الزمني، المدة ، التواتر.

و على هذا الأساس سنحاول تحليل الزمن في رواية القلاع المتآكلة، من خلال تتبعنا لطريقة جيرارد جنيت في التحليل.

1- زمن القصة في رواية القلاع المتآكلة :

يأتي الزمن في رواية القلاع المتآكلة متداخلا بين الزمن الحاضر الذي تنطلق منه الرواية منذ البداية إلا أن ذلك لم يدم طويلا إذ لم يلبث الراوي حينها، فسرعان ما عاد بنا إلى الماضي، فبمجرد ما يغوص القارئ في حدث معين يقودنا إليه الراوي، يفاجئنا بانتقاله السريع و عودته إلى الماضي عبر الذاكرة

> فالرواية إذن يتزاحمها زمنان ، الأول و هو الزمن حاضر ينطلق من بيت عبد القادر المحامي ، الذي يحدث نفسه عن صعوبة القضية التي يعالجها، و يتولى الدفاع عتها،"ها قد حان موعد جلسة المحاكمة، و أنا في حيرة من أمري، القضية معقدة و خيوطها لاهية " [3].

---

[1] بعطيش يحيى، خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، قسم الأداب و اللغة العربية، كلية الآداب و اللغات، جامعة منتوري- قسنطينة الجزائر، العدد الثامن جانفي 2011 ص 6

[2] نصيرة زوزو – بنية الزمن في رواية شرفات بحر الشمال لوسيني الأعرج، قسم الأدب العربي ، كلية الأداب و العلوم الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ص 01.

[3] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ص 07.

يحاول الراوي أن يخفف عن نفسه بقراءة الجرائد إلا أنه يتلقى اتصالا، " ماذا يريد مني هذا المزعج في هذه الساعة المتأخرة من الليل"[1] ، كان الاتصال من صديقه رشيد بن غوسة، حدثه بصوت متقطع مرتجف خائف يخبره فيه أنه قد قتل ابنه نبيل، يتلقى عبد القادر الخبر بحزن و أسى ترافقها الدهشة لما حل و آل بصديقه و ها هو يعيدنا إلى زمن ماض التقى فيه مع زميله رشيد بن غوسة، و هكذا ، فقد كان الراوي و بعض الشخصيات ، في رحلة بين الماضي و الحاضر ، فكثيرا ما كان الراوي يأخذنا

إلى زمن ماضي يرتد إلى أيام الطفولة، وأحيانا يذكرنا بسيرته في الحياة، يشمل ذلك، حياته المهنية، حياته مع أصدقائه، القرية التي كان يسكنها في السابق كيف كانت و كيف أصبحت .

تستدل القصة ببعض المؤشرات الزمنية التي يتم تسجيل الأحداث من خلالها، حيث تمكننا هذه المؤشرات من معرفة حاضر القصة، و حتى ماضيها ، كما أنه و في بعض المشاهد تحدد الفترة الزمنية من قبل الشخصية بحد ذاتها.

إن أهم زمن تاريخي ندرجه في هذا الصدد هو العشرية السوداء التي مرت بها الجزائر خاصة بعد أحداث أكتوبر 1988، إلا أن التحديد لزمن القصة كان بالضبط في سنة 1992 و ذلك حسب ما ورد في يوميات نبيل، إذ يحدد الأيام و الأشهر و السنة ، حيث يوضع ذلك " أوت 92 عدت البارحة من رحلة شاقة إلى الجنوب"[2] و يوصل نبيل في يومياته ذكر الأحداث التي مرت به و مع ذكر التفاصيل وقت حدوثها حتى نهاية حياته أي في اليوم الذي وقعت فيه الجريمة الجمعة 28 " سبتمبر العاشرة ليلا... انتحر نبيل لأنه رفض قتل أبيه، صوب الرصاصة المخصصة لرشيد اتجاه صدره " [3] ، ومن هنا نستطيع ضبط زمن حاضر القصة بحيث أن الروائي بدأ الرواية بزمن الحاضر الذي قتل فيه نبيل ، و الذي استنتجناه من خلال يوميات نبيل و هو اليوم الأخير الذي كان فيه نبيل في تمزق داخلي يعاني الأمرين هل يقتل أباه تمثلا لرغبات ياسين، أم انه سيتمرد و يرفض أوامر ياسين ، بدأ يتخبط نبيل بين عقله و قلبه في تلك الليلة التي عبر فيها من يومياته عن قلقه و تشاؤمه و قراره ، في الأخير قرر قتل نفسه و كان ليلة الجمعة 28 سبتمبر 1992.

[1] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص 186.
[2] المرجع السابق، ص 186
[3] المرجع نفسه ص 228.

و نحن إذا استطعنا تحديد زمن حاضر القص فإنه يصعب علينا تحديد زمن الماضي الذي يغرق في الذكريات إلا ما ندر، أي التي كان لها مؤشر دال على زمن حدوثها .

وفيما يلي يمكننا ومن خلال هذا الجدول التعرف على حوادث القص مزاوجين في ذلك بين زمن الحاضر والماضي مستدلين ببعض المؤشرات الزمنية التي تقدم حدثا على آخر أو تقدمه كما جاء في الرواية:

الحدث	مضمون الحدث	المؤشر الزمني	الصفحة
1	قصة قضية المحكمة وموعد الجلسة المحامي عبد القادر	1992	7
2	مقتل نبيل ابن رشيد صديق المحامي عبد القادر	1992	10
3	عبد القادر المحامي يسترجع أيامه الأولى كمدرس قبل التحاقه بمهنة المحاماة	قبل 1992	18
4	يتذمر عبد القادر من تغير قرية الكرمة وتحولها إلى مدينة	قبل وبعد 1992	22
5	يعود بنا الراوي عبد القاردر إلى القضية الأولى قضية الصحفي يوسف العياشي اليوم هو بصدد جلسة المحاكمة	1992	23
6	الكمين الذي كان في الطريق قصد تحرير السجناء	1992	35
7	يعود بنا الراوي إلى يوم استلامه لشهادة الكفاءة المهنية للمحاماة	قبل 1992	37
8	موضوع قتل نبيل ودفنه ، وظاهرة العنف في مقتل نبيل ، والعنف في الكمين	1992	54-48
9	يعود بنا الراوي إلى حياته في الصغر مع أمه وأخيه الميلود ووصفه لمقتل أخيه	قبل 1992	99-100-105
10	يعود الراوي إلنا حاضر الرواية إلىقضية يوسف العياشي	1992	109
11	يدور حديث بين المحامي والجماعة المتطرفة	1992	112
12	استرجاع لقصة أم العياشي يوسف (جده ووالده)	قبل 1992	158
13	يتذكر الراوي مقتل أخيه الميلود	قبل	158

		1992	
14	حوار يوسف العياشي مع المحامي عبد القادر حول تسليم نفسه	1992	123
15	العودة إلى الحاضر وقراءة يوميات نبيل	1992	164
16	قصة اعتقال رشيد بن غوسة حينما كان طالبا في الجامعة	قبل 1992	179
17	يوميات نبيل	1992	186
18	مقتل الشرطي سا أحمد	1992	207
19	مقتل جماعة من الإرهابيين	1992	231

إن من الملاحظ في الجدول أعلاه اختلاط الزمن الحاضر بالزمن الماضي ، ومن هنا يبرز ضبط الزمن والحوادث المفترضة ، وذلك مرده إلى التداخل الشديد بين الماضي والحاضر .

2- **زمن الخطاب :** وهو تميز الراوي عن غيره في طريقة بناء زمن القصة ، وفي هذا المقام سنحاول مقاربة زمن الخطاب في رواية القلاع المتآكلة من خلال محور جيرار جينيت ، " إن دراسة زمن الخطاب الروائي تعنى بكيفية ترتيب زمن الأحداث في المادة الحكائية ، وكيفية ترتيبه في الخطاب ، وتغير مدة هذه الأحداث وفقا لوتيرة التسريع أو التبطيء أو التساوي " [1] .

أ : الترتيب : لقد كان عهد الرواية التقليدية في بنائها للوقائع و الأحداث وفق ترتيب زمني متسلسل ، بحيث تعمد إلى التطور التدريجي للأحداث ، أما الرواية الحديثة ، فهي تخالف ذلك إذ أنها تعمد إلى مخالفة تسلسل الزمن بتفككه ، يتأرجح فيها الزمن بين الماضي والحاضر .

إن زمن الخطاب في رواية القلاع المتآكلة ، يشوبه نوع من التداخل الشديد بين زمن الحاضر الذي يعود عبر الارتداد إلى وقت ماضي ، إذ يلاحظ على هذه الرواية الترتيب الزمني الذي ينتهجه الخطاب حيث تقاسم ذكريات الماضي أحداث الحاضر الروائي ، بحيث عند ولوجنا إلى النص الروائي نصادف مفارقة زمنية يحددها الراوي بقوله : " أعرف رشيد بن غوسة منذ أزيد من ثلاثين سنة ، أيام التكوين في مدرسة المعلمين ، لم تكن الحياة لينة معه وهو بدوره كان يركب رأسه ، ولا يتنازل عن شبر واحد مما يعتقد أنه من حقوق الطبيعة ....إذا كان قد صدم بهذا

[1] سليمة لوكام : تحليل الصوت السردي في الخطاب الحكائي " كوابين بيروت ، جامعة قاصدي مرباح ، وقلة ، الملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب ، يومي ، 11 إلى 13 مارس 2003. ص31.

الشكل معناه أنه تلقى الضربة التي تقصم ظهر البعير " [1] ، إنه زمن يحدث مفارقة زمنية شاسعة تعود إلى ماض يبلغ ثلاثين سنة من لحظة التلفظ ، بعد هذه العودة إلى الماضي أثناء الحاضر الذي كان عبارة عن مقتل نبيل ابن رشيد بن غوسة ، يذهب الروائي إلى قسم آخر أعطاه رقم 02 في روايته ، ينتقل الراوي إلى قرية عين الكرمة ، كيف كانت في الماضي " واحة وارفة الظلال ، " عين الكرمة لم تعد تلك الواحة الوارفة الظلال الدافئة الحضن التي آنست العيش بين أسوارها الآمنة " [2].

وهو يشير بمؤشر يدعو إلى الرجوع إلى زمن ماضي بقوله : " آه على تلك الأيام تغير كل شيء ....كبرت المدينة واغتنت ، ولكنها فقدت براءتها وطيبتها " [3] ، إن الزمن الماضي لعين الكرمة ، لكن الراوي سرعان ما يعود إلى حاضر عين الكرمة وذلك عبر المقارنة " المدينة بدورها عرفت تطورات هائلة ، لم تعد قرية صغيرة مثلما وجدتها أول الأمر ، صارت مدينة بمجسات بسطت سطوتها على الحدائق الجميلة التي اختفت تدؤيجيا " [4] ، أما في القسم الثالث يرجع الراوي إلى الوراء أي زمن الماضي ، يوم استلامه لشهادة الكفاءة المهنية للمحاماة ليغوص في ماض بعيد وهو ماضي طفولته التعيسة .

نعود إلى الحاضر مرة أخرى في القسم الرابع " دفنا نبيل بعد صلاة العصر .....حان الوقت للتوجه للمقبرة " [5] ، كما يحدثنا عن شخصية سي أحمد المحافظ عن الكمين الإرهابي " ماذا أقول لك يا خويا عبد القادر ، هل تستطيع الكلمات وصف البشاعة التي وقعت عليها هذا الصباح " [6] .

القسم الخامس : يتواصل زمن الحاضر ، أين يتوجه المحامي عبد القادر لزيارة صديقه رشيد " شهر نوفمبر يوشك على الانصرام ، ولم تسقط قطرة ماء واحدة " [7]

القسم السادس : دائما مع الزمن الحاضر ، الذي يشمل قضية مقتل نبيل ، فقد أثبتت التحريات بأن الحادثة كانت عبارة عن انتحار ، وضمن كل هذه الأحداث التي وقعت في الزمن الحاضر ، كانت ملتبسة بالزمان الماضي ، وهكذا فقد كانت الرواية مقسمة إلى عدة أقسام من القسم الأول إلى القسم الثاني عشر ، كان الزمن فيها مرتبط بالحاضر الذي يرتد إلى الماضي في مواقف كثيرة ، إذ كان الاسترجاع مهيمنا فكلما كان السرد في الزمن الحاضر عاد إلى الماضي والعكس ، ولعل خلخلة

---

[1] محمد ساري ، القلاع المتلآكلة ، ص 08.
[2] المرجع نفسه، ص 18.
[3] المرجع نفسه ، ص 18.
[4] المرجع نفسه ، ص20.
[5] المرجع نفسه ، ص49.
[6] المرجع نفسه ص 52.
[7] المرجع نفسه ، ص 59.

خطية الزمن التي تخيم على أجواء الخطاب المقصود من ورائها ، الكشف عن أسباب نشأة العنف في الجزائر . وكيف بدأ، وعليه فنقول أن الخطاب في الرواية الجزائرية كان ينتهج خلطا زمنيا في سرد حوادث الماضي ، إذ نشهد مقاربات زمنية متفاوتة باللجوء إلى الحاضر ، والعودة إلى الماضي الذي يرتبط بالحالة النفسية والشعورية لصاحبها .

يطلق جنيت اسم المفارقة الزمنية على مختلف أشكال التنافر بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية أي عدم التطابق بين نظلم القصة والخطاب ، ونميز ذلك بين الاسترجاعات Analepses والاستباقات Proleseses" ولكل مفارقة زمنية مدى Portée وسعة Itude " [1]

وعليه فإن المفارقة الزمنية تتميز بمصطلحين :

1- الاسترجاع : وهو العودة إلى الماضي والارتداد إليه ، حيث تأخذ معظم الاسترجاعات منحى واحد ، حين يسترجع عبد القادر ، أيام طفولته ، وحتى سيرته وهو شاب ، إذ يسترجع اللحظات الأليمة ، والأوضاع القاسية ، التي عاشها في صغره " لم أعرف من أبي إلا بتلك الصورة المفجعة ، وهو على حصير مقتول ، ورعب ذلك السعال الحاد الذي يبقيني يقظا ، سجين الغمة ، و عرضة لوساوس مخيفة ، وأنا منكمش في ركن الكوخ أرتعد كعصفور مكسور الجناحين تحت رذاذ المطر " [2].

يظهر الاسترجاع في الرواية منتشرا بين كل شخصياتها ، فهذا رشيد بن غوسة يسترجع أيام اعتقاله ، وحتى تعرفه على زوجته نصيرة ، فكأنما الراوي يريد من بسط الاسترجاع داخل أرجاء الرواية ليضفي نوعا من التشويش والإثارة وإعطاء تفاصيل أكثر دقة " إذ نراه يفتتح الحديث عن جزء من حياة شخصية ما ثم يقطع الحديث عنها ، تبعا لما يفترضه المقام ليعود إلى استكمالها في موضع آخر " [3] ، ومع هذا كله نلمح في الرواية استرجاعا يوافق شخصية الراوي عبد القادر بكثرة وذلك للتعرف على سيرته أكثر ، خاصة أن الأحداث كلها تدور حوله .

2- الاستباق : ويعني استباق الأحداث قبل أوان وقوعها والإشارة إليها ، إلا أنها تقنية قل ما تتواجد في الرواية ، تتعلق تقنية الاستباق بالتنبؤ والتطلع والتوقع " فهي تعتبر بمثابة تمهيد وتوطئة لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها من

[1] نصيرة زوزو ، بنية الزمن في رواية شرفات بحر الشمال ، ص17.
[2] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص 98.
[3] المرجع السابق ، ص20.

طرف الراوي ، فتكون غايته في هذه الحالة حمل القارئ على توقع حادث ما..كما أنها قد تأتي على شكل إعلان Annonce عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات " [1].

وقد نجد بعض التطلعات التي تدخل ضمن سياق الاستباق في رواية القلاع المتآكلة من خلال تنبؤ بعض الشخصيات لما ستؤول إليه الجزائر " إن حال البلد لا يبشر بخير فهو على فوهة بركان قد ينفجر على رؤوس الجميع بين الفينة والأخرى" [2] ، لا شك أن الوظيفة الأساسية لهذا الاستباق الزمني ، تعبر عن رؤيته المستقبلية ، ونبوءة تحققت فعلا ، بالنظر إلى ما وقع في الجزائر في فترة التسعينيات .

3- المدة : وهي تقنية تساعد على تحديد سرعة الحكاية بالعلاقة مع مدة القصة ، وفي رواية القلاع المتآكلة يحضر الواقع حظا أو في زمن الماضي ، على الرغم من قصر المدة الزمنية التي يشغلها، التي تبدأ بمقتل نبيل ، وقضية يوسف العياشي ، أما السنوات التي كانت قبل 1992 فإنها تغرق في أحداث عدة ، وشخصيات مختلفة ، ولدراسة المدة أوجد جينيت أربع تقنيات حكائية أطلق عليها الحركات السردية الأربع : المشهد ، الخلاصة ، الحذف ، الوقفة .

أ- المشهد : Scéne : ويتمثل في الحوار ، كحوار بين الشخصيات في ثنايا السرد ، ومن هنا يكون زمن الحكاية يساوي زمن القصة زق = زح [3]

يظهر في رواية القلاع المتآكلة ، بين الفينة والأخرى ، ولنأخذ مثلا على ذلك : حوار سي أحمد محافظ الشرطة وعبد القادر المحامي : هل من جديد في قضية المرحوم ؟

سي عبد القادر : أنا بحاجة إلى الحديث مع سي رشيد ....

يبدوا أن الأمر في غاية الاستعجال ...

أعرف.....أعرف لذلك أعتمد عليك ....

[1] حسن بدراوي ، بنية الشكل الروائي ، الفضاء ، الزمن ، الشخصية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1990 ، ص132.
[2] محمد ساري ، القلاع المتآكلة، ص 168.
[3] نعني ر زق : زمن القصة و ز ح : زمن الحكاية

ب-الخلاصة : Sommaire زح أكبر من زق : تتعلق بحوادث هي في الحقيقة وقعت في سنوات ، أشهر أو ساعات ، يتم اختزالها في صفحات أو أسطر أو بضع كلمات ، دون عرض للتفاصيل .

هذه التقنية تساعد على تسريع الحكي ، وتفادي الإطناب الذي يعيب الرواية كما أن للخلاصة " وظيفة تختص بربط أجزاء المتن الحكائي بعضها ببعض وتعمل على تحصين السرد الروائي ضد التفكك والانقطاع " [1] .

لقد ظهرت هذه التقنية في رواية القلاع المتآكلة ، شكلت بعض الوقائع الهامة في حياة عبد القادر كغياب أخيه " غاب عنا أسابيع ولم نعرف عنه شيء ، تدحرجت بنا الأيام مزمجرة عاصفة " [2].

ج- الحذف : Ellipses : زح =0 زح أكبر زق

يعني تجاوز بعض التفاصيل واختزالها ، دون الإشارة إليها ، مثل ما جاء في رواية القلاع المتآكلة " مر أكثر من أسبوع منذ أن دفنا نبيل " [3] .

د- الوقفة : Pause : زح أصغر زق :

وهي وقفة يحدثها الراوي ، بسبب لجوءه إلى الوصف الذي يفضي إلى انقطاع سيرورة الحدث ، تؤدي بذلك وظيفة جمالية غالبا ، ومثال ذلك ما جاء في روايتنا القلاع المتآكلة ، حين كان الوصف لنصيرة زوجة رشيد قبل زواجه منها ، ولحظة إعجابها به " فتاة في العشرين ، منطلقة ، شعرها يتدفق على كتفيها ، كريش طاووس ، الابتسامة بريئة " [4].

[1] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص155.
[2] محمد ساري القلاع المتآكلة ، ص 180-108
[3] المرجع السابق ، ص 128.
[4] المرجع نفسه ، ص 72.

المبحث الثالث :
بنية المكان في رواية القلاع المتآكلة

بنية المكان في رواية القلاع المتآكلة :

الفضاء الروائي :

يعد المكان عنصرا أساسيا في بنية السرد ، ذلك أنه لا يمكن تصور رواية بدون مكان إذ لا وجود لأحداث خارج المكان ، فكان كل حدث لا بد أن يأخذ وجوده في مكان ما وفي زمن ما ، وقد اختلف بعض الدارسين حول تحديد مفهوم المصطلح ، مما انجر عنه اختلاف تسمياته ، إذ البعض أطلق عليه الحيز المكاني ، وبعضهم أطلق عليه المكان وآخرون الفضاء ، مع أن هذا المصطلح الأخير أي الفضاء " أشمل وأوسع من معنى المكان ، والمكان هو مكون الفضاء ، وما دامت الأمكنة في الرواية غالبا ما تكون متعددة ، وترد متفاوتة ، فإن فضاء الرواية يلفها جميعا ، فهو العالم الواسع الذي يشمل مجموعة الأحداث الروائية ، فالمقهى أو المنزل أو الساحة ، كل منها يعتبر مكانا محددا ، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأماكن كلها فإن جميعها يشكل فضاء الرواية " [1] ، إن الظاهر من هذا التعريف أن المكان هو ضعيف محدود ، بخلاف الفضاء الذي يدخل ضمنه المكان ، " فالمكان يتوزع كسلسلة من المحطات التي لا وظيفة لها إلا بتفاعلها مع رحلة البطل ، ومن خلال تلك المحطات تطرح مجموعة من الإشارات الشكلية التي ساهمت في تفكيك القصة إلى مقاطع ، ومن ثم تؤدي إلى كشف الأماكن " [2] ، ومهما يكن فإن الشخصية تساعد مع الأحداث في الانتقال من مكان إلى مكان ، ومن نجمل القول في أن المكان هو " المساحة التي يتحرك فيها الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون فيها " [3] .

يتأسس المكان الروائي في خيال القارئ ، فعند قراءة الرواية ، يشعر القارئ نفسه في رحلة في " عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ ، فمن اللحظة الأولى ينتقل القارئ إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي ، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ " [4] .

إن السارد في الرواية التقليدية عادة ما يقوم بوصف الأماكن واستعراضها ، بحيث يتناول بالوصف التفصيلي كل المحيط أو المجال الذي تتحرك فيه الشخصية ، وتجري فيه إطار الأحداث ، " وغالبا ما يأتي وصف الأمكنة في الرواية الواقعية مهيمنا ، بحيث نراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان ، ولعل هذا ما جعل هنري

---

[1] حميد الحميدان ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، 2003 ، دط ، ص63.
[2] السعيد بن كراد ، مدخل إلى السيميائيات السردية ، دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش 1994، ص87.
[3] إبراهيم عباس ، الرواية المغاربية ، تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي ، ص217.
[4] سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985، ص 10.

ميتران يعتبر المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر الحقيقة " [1] .

لقد حددت أربعة أماكن عند مول وروميو وجميعها يتعلق بالسلطة التي تخضع لها تلك الأماكن ، وهي :

1- عندي : إذ يرتبط بالمكان الذي تمارس فيه الشخصية سلطتها ، إذ يكون ذا علاقة أليفة معه ، كالبيت مثلا .
2- عند الآخرين : وهو مكان مشابه للأول إلا أنه يختلف في كونه يخضع لسلطة الغير ، وعلى الفرد الاعتراف به واحترامه .
3- الأماكن العامة : والتي لا تعد ملكا لأحد ، بل ملكا للدولة ، وداخلها نجد شخصا يفرض سلطته مع أنه يعد هو أيضا المتحكم فيه ، كالشرطي الذي يتحكم في السير ويكلف بالتنظيم في الوقت نفسه يخضع لسلطة أقوى منه .
4- المكان اللامتناهي : وهو " المطلق الحر الخالي من الناس ، كالصحراء والبحر " [2] ، إن لهذه الأماكن وقع على القارئ ، إلا أن أشدها تكمن في : عندي واللامتناهي ، إذ يشعر فيه بحرية وراحة.

وإذا ما عدنا إلى الحديث عن المكان في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري ، نجد أنها تنوعت في أماكنها ، وذلك راجع إلى تنوع الأحداث ، خاصة وأنها رواية رصدت التحولات الاجتماعية في المجتمع الجزائري ،وتحديدا في فترة التراجع عن المسار الاشتراكي ، من خلال مجتمع وفضاء القرية ، إلى ظهور العنف ، وقد تحول هذا لصالح المكان المدني ، أي من القرية وتحولها إلى مدينة .

فقد برزت القرية في بداية بالمطاف عبر تقنية الاسترجاع ، التي كانت مكانا تدور فيه الأحداث الماضية ، وتتحرك فيه الشخصيات وذلك في الماضي ، وباعتبار أن الروائي كتب روايته بين الماضي والحاضر ، تحضر المدنية التي أخذت مكان تلك القرية عن طريق التنمية الريفية ، خاصة أن المدينة كانت مكانا مركزيا في رواية التسعينيات بينما تشكل القرية مكانا هامشيا (ثانويا) يحضر من خلال الذاكرة واسترجاع السيرة الذاتية ، أو عند التعبير عن قضايا تتعلق بالمدينة ، كقضية تحول القرية إلى مدينة ، وهو الأمر الذي امتازت به رواية القلاع المتآكلة.

---

[1] حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ص65.
[2] ينظر : كلثوم مدقق ، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح ، الأثر ، مجلة الآداب واللغات ، جامعة ورقلة الجزائر ، العدد الرابع ، ماي 2005 ، ص 142 ، نقلا عن لوري لوتمان ، جماليات المكان سيزا قاسم ، دار قرطبة ، ط2 ، الدار البيضاء ، 1988 ، ص 62.

أنماط المكان في رواية القلاع المتآكلة لمحمد ساري :

المكان العام : القرية / المدينة :

المكان الإطاري هو المكان الرئيسي المركزي الذي اعتمدته الرواية دو بعد جغرافي ، تجرى فيه الأحداث ، وتتحرك في إطاره الشخصيات ، إذ يمثل هذا المكان العام القلاع المتآكلة في القرية التي تحولت إلى مدينة ، يصرح الراوي باسم هذه القرية بقوله " عين الكرمة لم تعد تلك الواحة الوارفة الظلال ، الدافئة الحضن ، التي آنستا العيش بين أسوارها الآمنة ..كل شيء تغير كل شيء ، كبرت المدينة واغتنت ، ولكنها فقدت برائتها وطيبتها " [1] ، تلك القربة التي كانت تغرق في حياة إنسانية في طبيعتها الأولى ، في بساطتها عفويتها من خلال أزقتها ، وساحاتها ، من خلال خضرتها ، وظلالها ، من خلال أنامها البسطاء الفقراء ، الذين يتحدون ظروف الحياة ، في حرها ، وقرها .

تبرز القرية في هذه الرواية بين الفينة والأخرى عبر تقنية الاسترجاع ، يوظفها الراوي ليبرز من خلالها بؤس وشقاء الناس فيها ، فقر ينتشر في كل مكان لكنها كانت هادئة على غرار المدينة.

تتكرر المشاهد التي كانت القرية مكانها ، لم يبخل الراوي في وصف تلك القرية التي كانت واحة غناء ، بالنسبة لشخصياتها : إذ يأتي السارد على وصف الحياة في القرية : " برد قارص يزرق الوجوه ، جوع تتضمر له البطون ، أخرج بمعية أخي باكرا ، نمشط ضفتي الوادي القريب بحثا عن الحطب الجاف ، وعن الحلازون أيضا ،كانت الحلازن غذائنا الدائم تقريبا ، إلى جانب بعض النباتات البرية ، مثل السلق والمخير والفليو " [2] ، إن الراوي يحاول من خلال هذا السرد أن يعرض لبعض تفاصيل حياته صعوبة الحياة والعيش في القرية خاصة إذا رافقها الفقر ، كما يعود في مشهد آخر ليحدثنا عن القرية وسيرته معها " بقيت سنتين أتسكع في أزقة القرية أتسابق مع أقرنائي من الأطفال البطالين على رمي الكلاب ، والقطط بالحجارة ، وسرقة ثمار التين والعنب من حدائق الجيران ، أحيانا ألتحق بالمزارع المجاورة للعمل في جني اللوبيا والطماطم ، أعادتني أمي إلى زاوية الشيخ الميلود " [3] ، إن عودة الراوي عبد القادر المحامي إلى الماضي ، ماضي القرية ، إنما ليستحضر ذكريات طفولته ، وأحيانا لسرد سيرته الذاتية ، لقد صاحب هذا الوصف للقرية من قبل السارد نوعا من السوداوية للحياة ، وواقع القرية ، خاصة

[1] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص18.
[2] المرجع السابق، ص38.
[3] المرجع نفسه ، ص41.

في استحضاره لبعض الرموز التي ساعدت القارئ على تصور الحياة في القرية وما يعتريها من قساوة .

تفاقم مرض والده وأخته ، وموتها ، ويصعب على السارد العيش والسير الذي يزيد من حالة البؤس والشقاء ، التي تعيشها القرية ، كلها عوامل ساعدت على تضخم معاناة الشخصية النفسية ، إلا أنها حاولت التعامل مع الوضع بإيجابية شديدة ، إذ كانت شخصية محبة للحياة ، فبالرغم من الظروف الصعبة إلا أنه قرر تجاوزه ، وامتهانه لمهنة تساعده على الاستمتاع بالحياة ، والعيش الحسن ببساطة كانت شخصية تبحث عن الرفاهية وربما هذا المكان الذي ذكره بالنسبة للسارد يعج كله بالكلمات السوداوية ، كان في الحقيقة أجمل مكان وأدفئ مكان وأغنى مكان ، بالرغم من كل ما فيه ، " فهذه عين الكرمة اليوم .....تصدعت ،تورمت ، تشوهت من جراء الزحف الريفي الفوضوي ، والإرهاب يغرقها في أوحال جهنم ....من قرية تشعرك بالأمان والاطمئنان من الاحتكاك الأول ، إلى مدينة يمتد عمرانها الخراساني القبيح إلى ما لا نهاية ، دون معالم يسترشد بها الزائر تدخل في نفسك الكآبة ، وينتابك الخوف ومعه الرغبة الشديدة في مغادرتها مع أول حافلة " [1] .

المدينة : لقد أخذت المدينة حيزا كبيرا في رواية القلاع المتآكلة ، وذلك مرده إلى أنها حاضر الرواية والراوي معا ، والمكان الذي تدور فيه الأحداث ، خاصة وأن تلك القرية التي كانت تزهر في خضرة نباتها ، واتساع مساحتها تحولت إلى مدينة ، " فالمدينة بدور عرفت تطورات هائلة ، لم تعد قرية صغيرة مثلما وجدتها أول الأمر ، بل صارت مدينة بمجسات بسطت سطوتها على الحدائق الجميلة ، التي اختفت تدريجيا ، لم يبق شيء من تلك الجنة الفيحاء ، لقد أكلها الخراسان ، وما تبقى ابتلعته أكواخ الصفيح " [2] .

لقد تغيرت عين الكرمة كلية من قرية صغيرة إلى مدينة " جاءها الناس من كل حدب وصوب وتحصلوا على سكن وقطع أرضية ، التجارة قبل السكن " إلا أن الرواية باستحضارها للمدينة ترصد لنا عمليات العنف التي كانت تقع في شوارعها ، ها هو " الإرهاب يغرقها في أوحال جهنم ، برصيد اختراعاته البشعة في زهق الأرواح وتشويه الجثث التي فاقت إنجازات إبليس التاريخية " [3] فحتى الشرطة لم تسلم من العنف والقتل ، حيث قتل سي أحمد محافظ الشرطة قرب منزله فـــ " من يحرسنا ما دامت الشرطة لم تستطع حماية نفسها" [4] .

---

[1] محمد ساري القلا المتآكلة ، ص 230
[2] المرجع السابق ، ص20.
[3] المرجع نفسه ، ص21.
[4] المرجع نفسه ، ص23.

وهكذا فقد كان الموت مخيم ومرتبط بالمدينة التي كثيرا ما كان أهلها يهربون منها ويبحثون عن مكان يحتوي على الأمن والاستقرار .وهذا ما كان باديا على شخصيات الرواية من ذلك المحافظ سي احمد الذي كان بوده العزلة والابتعاد عن هذه المآسي وذلك جلي في قوله :" أقول لك بصراحة، لقد امتلأت غيضا و يأسا، و أفكر بجدية في طلب التقاعد و الانعزال بعيدا عن جميع هذه المآسي التي تفاجئنا كل صباح، و تزيدنا غما و هما. إنها رغبتنا جميعا، ولكن أين لنا أن نعثر على هذه الواحة الآمنة لانتظار ختام أيامنا في راحة و هناء"[1] ، هذه هي حقيقة ذلك الواقع ، الذي كانت رغبة الجميع فيه العزلة و الابتعاد ، الذي قرر فيه نيل الانتحار ليبتعد عن الصراع .

2- البنى المكانية الفرعية:

1- الأماكن المفتوحة :

تكتسي الأماكن المفتوحة في الرواية أهمية بالغة، وذلك من خلال ما تتمد به من تفاعلات و علاقات الشخصية بالأماكن

أ- الشوارع : الشارع هو جزء من المدينة ، و هو مكان مفتوح، يستقبل جميع الشخصيات، فيه الحرية و الانفتاح في التنقل و هو يدخل ضمن المكان العام الذي حدده رومير، لقد ورد في رواية القلاع المتآكلة تعدد لشوارع المدينة (عين الكرمة) من خلال وصف الراوي لها: مشيت بخطى سريعة وسط المنازل الحديثة البناء الغارقة في الصمت و العتمة، جدرانها لا تزال مطلية بالاسمنت ، و أغلبها عبارة عن ورشات لا يبدو أن بناءها سينتهي قريبا، الأزقة مغبرة، و تتعثر على قارعتها بقايا مواد البناء متراكمة هنا و هناك، لحسن حظنا أن المطر تأخرّ عن السقوط هذه السنة، يوم واحد و تتحول الأزقة إلى برك موحلة تعيق السير " [2]

وقد ارتبط الشارع في هذه الرواية وخاصة في المدينة بالفوضى ، البؤس ، الجثث ، الموت / ...الخ

ب-**المقهى** : يمثل المقهى مكانا اجتماعيا يحمل دلالة ، وله دهر في رصد الأحداث ، في الرواية ، إذ يحتل مكانة متميزة في الرواية ، وقد ورد المقهى في رواية القلاع المتآكلة .

[1] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ، ص 203.
[2] المرجع السابق ص 12.

كانت المقاهي في الرواية تمثل عن شخصيات الرواية مكان يخوض فيه راووها النقاشات السياسية باعتبار ذلك الوقت وما كان يحدث فيه والراوي عبد القادر كثيرا ما كان يتردد على المقاهي " ما إن عتبت باب المقاهي حتى ارتفع صوت بوعلام سعدون يدوعني للالتحاق بطاولة جلس إليها أربعة من زملاء المهنة ، من كثرة السفر أدركت أنهم وكعادتهم يخوضون نقاشا حول حدث سياسي أو رياضي جديد " [1] ، لقد تعددت مشاهد المقهى في هذه الرواية ، كما تعدد حملها للمعاني ، منها : الحزن ، الاجتماع ، الراحة

ج- المقبرة : هي المكان الذي يساق إليه الإنسان ، وقد ارتبط هذا المكان في رواية القلاع المتآكلة بشخصيتين ، شخصية نبيل ، وشخصية المحافظ ، وقد ارتبطت هذه الرواية بهذا المكان لأنها مرتبطة أصلا بموضوع الموت ، والغياب ، إذ أن الراوي له ذكريات أليمة معها ، إذ أصبحت المقبرة أليفة له : يبدو أن المقبرة أصبحت مألوفة لدي هذه الأيام ، الله يستر ...أتطير من تكرار الأشياء السيئة ، أتكون نذير شؤم سيزورني الليلة ، بالأمس فقط زرتها بحضور جنازة شرطيين " [2] ،

يرتبط هذا المكان بالحزن والأسى والألم والخوف لدى الراوي خاصة وأنه يرتبط بنهاية الإنسان ، إن مرافقة الميت إلى مثواه الأخير دائما تذكر الإنسان خاصة مرافقيه ومشيعيه بهول الموت " فالإنسان ضعيف أمام رهبة الموت خاصة عندما حينما تكون نتيجة حادث أليم غير طبيعي ، مثل اصطدام السيارات ، أو جريمة قتل ، يرون في هذه الأحداث بصمات القدر القاسية التي تخبط خبط عشواء ، فيمكن أن يباغتهم عصفها في أية و لحظة " [3] ، وباقتراب الراوي إلى المقبرة تصحوا بداخله تلك الصورة الموجعة التي لم تبارح ذكرياته ، فسواد الماضي وشقاؤه في طفولته كان يسكنه ، ويؤرقه يبوح الراوي وهو متوجه إلى المقبرة لدفن نبيل ، بما يجول في سريرته بقوله " من يراني أتبخر في بذلة أنيقة ، وربطة عنقي الجذابة ، وحذائي اللامع ، دوما تركبه سوسة الغبرة المدمرة لأنه يتصورني في جنت النعيم ، كم هي خادعة المظاهر ، إنما بداخل هذه البذلة من الأسرار الموجعة ، وذكريات مؤلمة لا تمحها رفاهية ألف ليلة وليلة " [4] ، وعليه فإن المقبرة ترتبط بدلالات سلبية منها ، على الجانب النفسي تذكر الموت ، الوحدة ، الفراق ...أما الجانب المادي انتشار الحفر ، انتشار البرك ، والتربة المبللة .

---

[1] المرجع نفسه ، ص25.
[2] محمد ساري القلاع المتآكلة ، ص50.
[3] المرجع نفسه ، ص 50.
[4] المرجع نفسه ، ص 50.

د- المسجد : يعد المسجد مكانا لمزاولة العبادة ، كما أنه يحمل دلالات إيجابية خاصة في توجيه السلوك وتهذيبه ، لقد وظف المسجد في الرواية بمجرد إشارة خفيفة حيث تم من خلاله إقامة الصلاة ، " إنه وقت الالتحاق بالمسجد لأداء صلاة الجمعة " [1] ، لقد ترافق ذكر المسجد في هذه الرواية بالشخصيات الإسلامية التي كانت تنمي للحركة الإسلامية كالتقاء نبيل وصديقه ياسين .

ه- المشفى : هو مكان لعلاج المرضى وتأهيلهم وقد ذكر المشفى في رواية القلاع المتآكلة وذلك حينما أخذت جثة نبيل للتشريح إلا أنه في هذا الموضع لم تذكر المشفى ولم توصف جيدا إنما اكتفى الراوي بذكر الاسم فقط ولكنه في مشهد آخر ، يوصف المكان جيدا ، و تشغل قضية مهمة داخل الرواية ، بحيث يصور من خلالها الروائي محمد ساري تدهور القطاع الصحي وعدم المبالاة ، والإهمال لمثل هذه الأماكن التي تشكل أهمية كبيرة في المجتمع لكونها تتعلق بصحة الإنسان ، لقد أبدى رشيد تذمره من الظروف السائدة آنذاك صراحة ، حيث ينتقد الوضع بما فيه حال المستشفيات آنذاك " بدا لي المستشفى كزريبة بشعة وبرائحتها الكريهة وركام الأوساخ المرمية هنا وهناك ، المراحيض بلا مياه ، أبوابها مكسرة لا نظافة ولا حياء المرضى يأتون بأفرشتهم وأغطيتهم ، وأهلهم يحضرون لهم الأكل يوميا .....كأنك في سوق الحراش ، فوضى عارمة ، لا تفرق فيها بين الطبيب والممرض " [2] .... و ليس هذا فحسب هو ما يتذمر منه رشيد ، إنما بلغ الإهمال حده "فلا يوجد شخص مسؤول يمكن أن تتحدث معه و يوجهك إلى مقصدك، الكل مشغول و غير مستعد للجواب عن استفسارات المرضى و ذويهم.. المشكلة أن الجميع يشتكي عمالا و زوارا، تسأل ممرضة تجيبك بوقاحة بأنها ليست مديرة المستشفى"[3] .

كأنها فوضى عارمة سدت البلاد في ذلك الوقت، حتى المستشفى الذي يأتي إليه المريض ليتماثل للشفاء يزداد سوءا، و يصاب بعلل أخرى غير التي جاء لأجلها

لقد اشتغلت ووظفت الرواية أمكنة عدة تصنف في خانة الاماكن المفتوحة لكن توظيفها لم يشغل مساحة كبيرة في الرواية إذ لا تعد إلا لفتة أو إشارة إليها بذكر الإسم ليس إلا منها المحكمة ، المتوسطة ، الثانوية..الخ.

2- الأماكن المغلقة :

[1] المرجع السابق، ص 135.
[2] محمد ساري ، القلاع المتآكلة ص 70
[3] المرجع نفسه ،ص 70

يأتي مفهوم هذه الأماكن من المكان المغلق أي المحدد الذي حددت مساحته كالبيت الذي يسكنه الإنسان، و يعمره فترة من الزمن

أ- البيت : إن ما هو متعارف عنه على البيت هو ذلك المسكن و المأوى الذي يسكنه الإنسان ، و حتى المخلوقات الأخرى، رغبة في الأمن و الاستقرار و البيت بطبيعة الحال هو بالنسبة للإنسان جزء من كيانه، يأتي البيت في رواية القلاع المتآكلة في مشاهدة مختلفة، و بالتحديد فإن بيت رشيد بن غوسة هو الذي يتكرر عن غيره ، ذلك أن المحامي عبد القادر و باعتبار انه يمتلك سيارة كان كثير التردد على صاحبه رشيد بالإضافة أن مقتل نبيل ابن رشيد كان قرب بيته لا يعطي للروائي أهمية للوصف مكان و الفضاء البيت ذلك أن موضوع كان اهتمامه الأول ، خاصة و أنه يخص فترة الأزمة التي مرت بها الجزائر ، غير أنه و عن طريقة تقنية الاسترجاع يعود بنا إلى الماضي ، كيف انتقل مع والدته إلى بيت آخر الذي " كان منزلا صغيرا من غرفتين و فناء ، جدرانه من الحجر و الطوب، و سقفه من الزنك، وسط مجموعة صغيرة من البيوت ، تقع في أعلى زقاق الطحونة ... منزلنا الجديد به كهرباء أدخلت الدفء على لياليا و طردت الخوف و الانقباض الذي كان يخنقني كلما خيمت العتمة، كما تخلصنا من دخان نار الحطب و متاعب أمي في تأجيج لهيبها بالنفخ المتواصل على جمرها"[1] ، كان هذا البيت بالنسبة لعبد القادر ووالدته مقابل البيت الأول كأنه الجنة، لما فيه من الدفء و الراحة و الأمن الذي يتوق إليه كل مواطن جزائري فكانت ام عبد القادر تردد "كنا مدفونين ... موتتنا خير من حياتنا... أخرجنا من التراب إلى ضوء"[2] .

و هكذا فقد شكل البيت الملائم الاستقرار و الطمأنينة لعبد القادر ووالدته كما جلب معه السعادة بعكس الكوخ الذي كانا يسكنانه في السابق الذي يكتنفه البؤس و المعاناة من الفقر و الجوع و البرد

ب-السجن: يأتي السجن في هذه الرواية كما مكان تجبر الشخصية للانتقال إليه خاصة في ذلك الوقت، إذ كان يرتبط خاصة بالمدينة و السجن يتميز و يمتلك خاصية سلبية بالنسبة للإنسان، يحضر السجن في رواية القلاع المتآكلة مثل خطر يهدد الشخصيات ففي أي لحظة و دون سابق إنذار يختطفك من وسط بيتك لتساق إليه ، و هو مكان ضغط نفسي يحمل معه العذاب و الألم كلما عاد رشيد بذاكرته إلى الوراء"وجدت نفسي في زنزانة ضيقة... بدأ

[1] محمد ساري القلاع المتآكلة "، ص103
[2] المرجع نفسه ، ص 175.

الاستنطاق بلا عنف في البداية حينها عرفت أني بين قبضة الأمن العسكري ... كدت أسقط أرضا من رهبة المفاجأة و الخوف من هذه الدهاليز المرعبة ، بدأ الترهيب و التهديد بالقتل ... بدأ جلادهم بتعذيبي"[1] و هكذا فإن السجن منذ الأزل معروف عنه مكان للتعذيب و المعاناة بداية من سجن للحرية.

[1] المرجع السابق ص 175.

الخاتمة

تعد الرواية شكلا من أشكال التاريخ، خاصة تلك التي تستمد تيمتها من الواقع إذ من خلالها نستطيع استكناه مميزات و خصائص فترات زمنية معينة من حياة الشعوب.

تتميز الرواية بميزة الانفتاح على الواقع، وهو ما جعلها تتميز بحرية التعبير و الرواية كانت ولازالت منذ نشأتها تغرف مادتها من معين واحد و هو الذاكرة الاجتماعية فقد شهدت الرواية الجزائرية طور نموها، تحولا نوعيا إما على مستوى الكتابة، أو التخييل أو التيمة أو حتى البنية، إذ سلكت الرواية الجزائرية مسارا مختلفا، تبعا لوعي كتابها، و اختلاف مرجعياتهم، حيث عايشت المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر

لقد عالجت الرواية الجزائرية منذ انطلاقتها بداية السبعينيات مختلف الإشكاليات الاجتماعية و السياسية التي عرفها المجتمع آنذاك، لقد تناولت الرواية الجزائرية الثورة التحريرية باعتبارها أكبر حدث تاريخي تعتز به الجزائر، إذ تأتي الإشادة بالثورة داخل المتن الروائي كفعل تاريخي مكن الجزائر من نيل الاستقلال .

لقد كان الارتباط بالواقع هو المحور الأساسي و المرجع للكتابات الروائية في ذلك الوقت إما الحديث عن الثورة التحريرية أو التغيرات الجذرية التي حدثت منذ الاستقلال . إن معظم روايات فترة السبعينيات كانت تتوجه توجها إيديولوجيا حسب النظام السائد آنذاك، إذ كان الخطاب الروائي يتماهى مع الخطاب الإيديولوجي الذي ساد وقت السبعينيات، إن من ضمن المميزات التي تميزت بها الرواية في فترة السبعينيات : التعبير عن طموح الإنسان الجزائري، حضور بعض القضايا الاجتماعية في المتن الروائي حضور التاريخ الجزائري كتيمة بارزة في النص الروائي .

أما في فترة الثمانينيات فقد غيرت الرواية الجزائرية مسارها الأول، لتخوض في مسار أخر، مسار تميز بالهدوء و التريث بعيدا عن الزمن السياسي الذي كان كثيرا ما يتدخل في صيرورة الأحداث، و قد اختار الكتاب في هذه الفترة الاشتغال على التراث و استلهامه في كتاباتهم . حيث أن هذا التعلق بالموروث السردي في الخطاب الروائي كان خاضعا لحتمية التغيير و التجديد، خاصة وان الخطاب الروائي في خضوعه لعملية التفاعل مع الخطاب السردي القديم أضاف قيمة جمالية للنص الروائي، كما ساهم في وعي الإنسان للتاريخ، وذلك من خلال استثمار الروائي للموروث التاريخي للجزائر، وبهذا فإننا نلاحظ إن هذا الجيل اتجه اتجاها تجدديا حديثا.

أما الرواية في فترة التسعينيات، فقد تميزت عن غيرها، إذ كانت هذه الفترة بالذات حافلة بالروايات التي حاولت التأسيس لنص روائي متميز، له ارتباط كبير بالواقع الاجتماعي، الذي استطاعه الروائيون من خلاله استلهام الشخصيات و الأحداث من الواقع المعيش.

فبعد الأزمة التي مرت بالجزائر خلال السنوات الماضية، التي مست كل طبقات المجتمع ، فقد اتخذت الرواية في تلك الفترة بالذات منعرجا أخر، إذ اتخذت من المأساة الجزائرية مدارا لها، خاصة و أن العنف الذي ظهر في الجزائر كان مرده عدة أسباب منها ما كان كامنا منذ عقود، لكنه بدا يطفو على السطح، ومنها ما ارتبط باللحظة التاريخية إثر قرار الانفتاح السياسي، كما كان نتيجة للتطرف و التعصب خلال مرحلة معينة.

و قد كانت الروايات في تلك الفترة شاهدة على ذلك الواقع المأساوي خاصة و أن التجربة المأساوية، التي مرت بها الجزائر كانت فريدة من نوعها و لم تكن عادية.

إذ يمكننا القول أن الخطاب الروائي السياسي في الجزائر هو وليد الأفكار السياسية والوطنية، إذ واكبت الرواية السياسية جل التحولات السياسية الطارئة على المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة .

إن تناولنا للرواية في الجزائر في فترة السبعينيات وما تميزت به من مميزات مرورا بعقد الثمانينيات ووصولا إلى عقد التسعينيات كله كان حافلا بمختلف التطورات والأحداث التي ظهرت في المجتمع الجزائري. أما على المستوى الأدبي فقد تميز بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهي رواية المحنة التي خاض فيها كثير من الروائيين تجربة خاصة.

لقد كان لظهور الرواية الجزائرية ارتباط وثيق بالواقع الجزائري، إذ حاولت الرواية منذ ظهورها مسايرة ومساندة الواقع المتأزم الذي عاشه المجتمع الجزائري،كما طغى الجانب الاجتماعي في الرواية الجزائرية، وذلك مرده إلى استجابة الرواية للوضع المتردي الذي عاشته الجزائر قبل وبعد الاستقلال، وبطبيعة الحال فإن المجتمع الجزائري قد مر بمراحل وفترات تاريخية أعاقت سيرورته و نموه (الثورة والإرهاب خاصة)، وأوجدت فيه عدة مشاكل، والرواية بدورها وكالمعتاد كانت دائمة المواكبة للأحداث و الأوضاع، فقد جسدت مختلف القضايا التي كان يعاني المجتمع الجزائري :

- ✓ قضية المرأة : فقد ارتبطت صورة المرأة بواقعها المعيش، وقد تعددت صورها من امرأة ثورية ومجاهدة ...الخ .

- ✓ قضية المثقف: لقد تعددت صور المثقف في الرواية الجزائرية، إلا أن صورة المثقف ظهرت خاصة في رواية التسعينيات، إلا أن صورته ظهرت خاصة في روايات التسعينيات، ذلك أنه كان يتلقى مضايقات من قبل المتطرفين
- ✓ قضية العنف بين التطرف والسلطة : تأثر المشهد الورائي في الجزائر بالأحداث السياسية والثقافية التي وسمت التجربة الجزائرية، منذ مطلع التسعينيات وشكلت منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر وعليه فإننا نعتبر أنا روايات التسعينيات كانت هي الصورة الصادقة للحدث الاستثنائي الذي عاشته البلاد، إذ امتلأت الروايات بالحقائق والأحداث ، وتنوعت في الآراء والأفكار.

أما الفصل الثالث فلقد حاول محمد ساري من خلال روايته القلاع المتآكلة تقديم نموذج عن الأزمة التي مرت بها الجزائر، إذ حاول ساري من خلال روايته الكشف عن أسباب نشوء هذه الأزمة، فقد كانت روايته تتأرجح بين الماضي والحاضر .

فلقد حاول من خلال روايته رصد لمختلف العقائد الممارسة في ذلك الوقت، والعقليات التي تميز بها الشعب الجزائري آنذاك، وقد اختار شخصيات ملائمة للموضوع المطروح لقد حاول محمد ساري رصد الواقع بكل تفاصيله في أسلوب بسيط من حيث البنية السردية .

- ✓ وباعتبار الرواية رواية سياسية بامتياز، فقد اختار محمد ساري شخصياته روايته بعناية فائقة خاصة وأن الشخصية تربط بين عناصر الرواية وأحداثها وقد تعددت صور الشخصيات من شخصية دينية إلى شخصية إيديولوجية ....الخ .

أما المكان أو الفضاء وهو الذي يحتل مكانة أساسية في بنية السرد، إذ أنه لا يمكن وجود أحداث خارج المكان، لقد حاول محمد ساري إيجاد مكان مناسب لأحداث روايته ، وقد كان ذلك عبر تسلسل المحطات داخل المتن الروائي، ذلك أن الشخصيات كانت تساعد مع الأحداث في الانتقال من مكان إلى مكان .

لقد تعددت الأماكن داخل رواية القلاع المتآكلة باعتبار أن الرواية كانت تنسج بين الماضي و الحاضر: قرية، المدينة، المبيت، الشوارع، المسجد، المستشفى.

الزمن : استطاعت القلاع المتآكلة أن تؤرخ لفترة العشرية السوداء، زمن العنف، زمن التطرف الديني وانحسار الإيديولوجية، حيث كشفت عن الخلفيات المتشابكة التي ساهمت مجتمعة في سجن الواقع الجزائري واندلاع العنف .

- ✓ إن موضوع الحركة الدينية كما جاء في رواية القلاع المتآكلة كان القصد منه الوصول إلى السلطة وإقامة الخلافة الإسلامية .
- ✓ عبرت رواية القلاع المتآكلة عن راهن الجزائر آنذاك، فكانت قريبة من الحدث برصدها لمشاهد العنف والقتل.
- ✓ أما من حيث البنية السردية فقد غلب السرد البطيء بسبب الاعتماد على حركة الوقف، والمشاهد الحوارية، إذ يمنح الكاتب لشخصياته حرية الكلام ، إذ يعمل على تصويرها من الداخل، بتحيل أفكارها وأحاسيسها.
- ✓ هيمنة السرد الأحادي من قبل الراوي عبد القادر المحامي .
- ✓ الاعتماد على الذاكرة من حين لآخر .
- ✓ الاعتماد على طابع المونولوج والحديث النفسي، ليكشف عن الحالة النفسية للشخصيات.
- ✓ الاهتمام بالمضمون والأفكار أكثر من اهتمامها بالشكل الفني، إذ الهدف من هذه الرواية هو العمل على إبلاغ رسالة للقارئ من خلال تعرية الواقع، إذ عبر عن الواقع السياسي الذي عاشته الجزائر قبل وبعد لأزمة.
- ✓ الاعتماد على الحاضر مع العودة إلى الماضي من حين لآخر، لربط الحاضر بالماضي، فالرواية مبنية على تردد الأحداث في زمنين: زمن الحاضر وهو زمنا المحنة وزمن الماضي وهو فترة ما بعد الاستقلال.
- ✓ المكان الذي اختاره الروائي هو لا يعني فقط الإطار الذي تجرى فيه الأحداث وإنما هو أحد العناصر الفعالة في تلك الأحداث ذاتها، فعبن الكرمة التي كانت قرية صغيرة وجميلة، هي اليوم مدينة يائسة، إذ كثيرا ما يذكرنا الراوي ويرجع بنا إلى ماضي القرية التي يحن إلى أيامها، عكس المدينة التي حملت معها كل ما هو سلبي.
- ✓ هناك تفاعل بين الشخصية والمكان، لاسيما أن الانتقال من مكان إلى آخر تصحبه جملة من التحولات والتغيرات على مستوى بنية وأفكار الشخصية.
- ✓ لقد وظف الروائي الوصف كتقنية للتعريف بالشخصية.
- ✓ لقد حاول الروائي محمد ساري استلهام التراث من ذلك استحضاره لعدد من الأمثال الشعبية.

- ✓ يضعنا الروائي أمام حقيقة وواقع عايشه الشعب الجزائري فقد جسد بصدق تلك الأزمة المرة، كما استطاع أن يبرز لنا الأطراف التي كانت سببا في إشعال النار غير أن هذه الأطراف تلاشت وتآكلت أسوارها.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر و المراجع

1- المصادر العربية:

- أحميدة عياشي، متاهات ليل الفتنة، منشورات البرزخ، الجزائر ، 2000 .
- بشير مفتي، أرخبيل الذباب، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، لبنان، 2010.
- بشير مفتي، المراسم والجنائز، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1998.
- بشير مفتي، بخور السراب، دار الحوار، ط2، سوريا، 2005.
- بشير مفتي، شاهد العتمة، منشورات البرزخ ، 2002 .
- الحبيب السايح، زمن النمرود، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985 .
- رشيد بوجدرة، التفكك، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1985 .
- زهور ونيسي، اللونجا والغول، مشورات إتحاد كتاب العرب، الجزائر، 1993 .
- سفيان زرداقة، سادة المصير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2006.
- الطاهر وطار، الحوات والقصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر.
- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، منشورات التبيين، سلسلة الإبداع الفني، الجزائر ، 1995 .
- الطاهر وطار، اللاز، الشركة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر .
- عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدراويش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 .
- عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، المؤسسة الوطنية للكتاب .
- عبد الله عيسى لحيلح، كراف الخطايا، مطبعة المعارف، الجزائر،ط، 2002.
- محمد ساري، القلاع المتآكلة، منشورات البرزخ، دط، الجزائر، 2013.

- واسيني الأعرج، حارسة الظلال دون كي شوت في الجزائر، ورد للنشر والتوزيع سوريا، ط2، 2006.
- واسيني الأعرج، سيدة المقام، ورد للطباعة والنشر، سوريا، ط5 ، 2006 .

2- المراجع العربية:

- إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرواية-منشورات السهل ،2006.
- إبراهيم عباس، الرواية المغاربية ـ تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005 .
- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م.
- أحمد فرحات، أصوات ثقافية في المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984.
- أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- إدريس بودبية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة قسنطينة، ط1، 2000 .
- آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية، من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006 .
- أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية، المفهوم الممارسة دار النشر، راجعي الجزائر، ط، 2007.
- بسام قطوس المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء الدنيا الطباعة، الإسكندرية، مصر ، 2006 .
- بشير بويجرة محمد، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأديب ، ط2، 2006 .
- بشير بويجرة، محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري 1979 – 1986 ، منشورات دار الأديب ، وهران ، الجزائر ، 2008 .

- بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، منشورات التبيين الجاحظية ، سلسلة الإبداع الأدبي، 2000.
- بن جدو موسى، الشخصية الدينية في روايات الطاهر وطار، دار الشروق للطباعة والنشر، 2008 .
- بن جمعة بوشوشة، الرواية العربية الجزائرية، أسئلة الكتابة والصيرورة، دار سحر، تونس، ط1، 1998.
- جعفر يايوش، أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، دط، 2005 .
- جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران.
- جليل وديع شكور، أمراض المجتمع الأسباب و الأصناف، التفسير، الرقابة و العلاج الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان 1998.
- حسن بدراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصي، المركز الثقافي العربي بيوت، الدار البيضاء، ط1 1990.
- حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 2003.
- رابح لونيسي، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر .
- سعاد عبد الله العنزي، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة دراسة نقدية، دار الفراشة للطباعة والنشر، ط1، 2010 .
- سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، صيدة، بيروت ، 1997.
- السعيد بن كراد، مدخل إلى السميائيات السردية، دار تينمل للطباعة و النشر مراكش، 1994.
- سعيد علوش، الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي، دار الكلمة للنشر، بيروت ، دط، 1983.

- سعيد علوش، النقد العربي الجديد مقاربة في نقد النقد، منشورات الاختلاف ، الدار العربية، 2010
- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، رؤيا للنشر والتوزيع ، ط1، 2006.
- سيزا قاسم، بناء للرواية، دار التنوير للطباعة و النشر بيوت لبنان ، ط1 1985.
- شربيط أحمد شربيط، دراسات و مقالات في الأدب الجزائري الحديث منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية 2007 .
- الشريف حبيلة، الرواية و العنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،عمان،ط1، 2010.
- طه وادي، الرواية السياسية ، الشركة العالمية للنشر ، القاهرة، ط1 ، 2003.
- عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، دار السبيل للنشر،لجزائر، 2008 .
- عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، دراسات في الرواية العربية، دار الحقيقة، دط ،دت .
- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي ، وهران، الجزائر، 2006 .
- عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة،بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2000 .
- عبد الله الركيبي، تطور النثر لجزائري الحديث 1870-1674، دار الكتاب العربي، دط ، دت.
- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنية السرد، عالم المعرفة ، 1998 .

- عبد الناصر جابي ، الانتخابات، الدولة والمجتمع، دار القصبة للنشر، الجزائر 1998 .
- عبد الناصر مباركية، دراسات تطبيقية في الإبداع الروائي، دار النشر ، جيطلي، دط، 2011 .
- عز الدين جلاوجي، زهور و نيسي، دراسات أدبية في أدبها، عاصمة الثقافة العربية 2009 .
- عز الدين جلاولي، سلطان النص، دراسات دار المعرفة، باب الواد، الجزائر ،2003
- علاء الدين سعد جاويش، الإتجاه السياسي في الرواية، مؤسسة حورين القاهرة ، مصر، الدولية ، 2010 .
- علال شنقوقة، المتخيل و السلطة، في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ، 2000 .
- عمر بن قينة، دراسات في القصة الجزائرية، دار الأمة للطباعة والنشر، دط 2009 .
- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخيا، أنواعا، قضايا،.وأعلاما ديوان المطبوعات الجامعية ، ط5 ،1965 .
- عمر عيلان، الإيديولوجيا وبنية الخطاب في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دراسة سوسيوسيميائية، الفضاء الحر، دط، دت .
- عمر عيلان، النقد العربي الجديد مقاربة في نقد النقد، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف 2001.
- عنصر العياشي، سيميولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، دار الأمين للطباعة والنشر، ط1، 1999.
- فاطمة موسى، دراسات في الرواية العربية، دراسات بين أدبين العربي و الانجليزي، دار الحقيقة للاعلام الدولي، ط1، 1991 .
- فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ط3 ، 1982 .

- قلولي بن ساعد، مقالات في حداثة النص الجزائري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005.
- محمد خرماش، إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي، مطبعة أنتو فاس ، ط1، 2001 .
- محمد رياض وطار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1999 .
- محمد ساري الأدب و المجتمع، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، 2009 .
- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق 2005 .
- محمد محمود الجوهري، عدلي محمود السمري، المشكلات الاجتماعية دار المسيرة، ط1، الأردن، 2014 .
- مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر، دار الأديب للنشر و التوزيع .
- مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية، بحث في الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات دار الأديب، ط1 .
- مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار الأديب للنشر والتوزيع، دت ، دط .
- مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1968 .
- مصطفى عبد الغاني، قضايا الرواية العربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1999،1.
- نبيل سليمان، فتنة السرد والنقد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط2، اللاذقية ، سوريا 2000.
- نضال الشاملي، الرواية التاريخية، بحث في مستويات الحياة في الرواية التاريخية العربية ، عالم الكتب الحديث ، ط1، 2006 .

- واسيني الأعرج ، الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية في الأدب الروائي الجزائري، دار الكتاب الحديث، ط1، 1986.
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين .
- واسيني الأعرج، مجمع النصوص الغائبة، أنطولوجيا الرواية الجزائرية التأسيسية، 2- التأصيل الروائي، دار النشر الفضاء الحر، الجزائر ، 2007.
- واسيي الأعرج، الطاهر وطار ، تجربة الكتابة الواقعية، الرواية نموذجا ، دراسة نقدية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989.
- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من الأنسونية إلى الأنسية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

3- المراجع المترجمة :

- رم ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة ترجمة جورج سالم ،منشورات البحر المتوسط ، بيروت ، باريس .
- مجموعة من الكتاب، ترجمة رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مراجعة المنطق، الشوفي ماي 1997، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية ، صادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ، 1978

4- المعاجم والقواميس :

- إبن منظور، لسان العرب، إنتاج المستقبل للنشر الالكتروني، بيروت، لبنان ، 1955 .
- مجد الدين الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8 ، بيروت، لبنان .

5- الدوريات (المجلات) :

- الأدبي والإيديولوجي في روايات التسعينات، روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج أنموذجا، الملتقى الخامس للنقد الأدبي، الجزائر، قسم اللغة العربية ، معهد الآداب واللغات 16-19 أفريل 2008، منشورات دار الأديب وهران .

- بحوص نوال، واقع الكتابة الروائية الجديدة، قراءة في المنجز الإبداعي للروائي الجزائري احميدة العياشي، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها .
- بعيطش يحي، خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد 08 ، جانفي 2011 .
- بن جمعة بوشوشة، الذاكرة بين سيرورة الوعي ومسائلة الإيديولوجيا في رواية خويا دحمان، الملتقى الدولي السابع عبد الحميد بن هدوقة، جامعة برج بوعريريج، ط6.
- حسان راشدي ، ظاهرة الرواية الجديدة في الجزائر ، مسائلات الواقع والكتابة ، رواية فوضى الحواس ، مجلة الآداب ، قسنطينة ، 2003 .
- سحر شبيب، البنية السردية والخطاب السردي في الرواية، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 14، 2003 .
- سعاد طويل، الفضاء المكاني في رواية الورم لمحمد ساري، مجلة دورية أكاديمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي، علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الأول ، 2009 .
- سليم بركان، تلقي الخطاب النقدي السوسيولوجي في الجزائر، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- سليمة لوكام، تحليل الصوت السردي في الخطاب الحكائي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الملتقى الدولي الأول، يومي 11-13 مارس 2003 .
- الشريف حبيلة، صورة التطرف في الرواية الجزائرية المعاصرة، جامعة العربي التبسي، قسم اللغة العربية وآدابها، مؤتمر فيلادالفيا الثالث عشر، محور الحب والكراهية، العنف والتطرف ضد الآخر في الرواية الجزائرية .
- شيلغم غنية، الحركة الإسلامية من التطرف الديني إلى الاعتدال، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 08 ، جوان 2012 .
- صالح مفقودة، المرأة الثورية في الرواية الجزائرية، لونجة والغول، زهور ونيسي أنموذجا، العدد الثاني، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جوان ، 2002.

- عبد الناصر مباركية، تلقي العناصر الأسطورية في رواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة .
- فهيمة زيادي شيباني، التجريب والنص الروائي للبنية السردية في الرواية التجريبية، الحوات والقصر للطاهر وطار أنموذجا، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خضر بسكرة، الجزائر .
- كربيع نسيمة، أبعاد الصراع الإديولوجي لشخصية الفنان في رواية بما تحلم الذئاب لياسمينة خضرة، جامعة جيجل، مجلة الأثر ، العدد 14 ، جوان 2014.
- كلثوم مدقق، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح مجلة الأثر، جامعة ورقلة الجزائر، العدد الرابع ، ماي 2005 .
- محمد صالح خرفي، الديني والإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة، روايات الطاهر وطار أنموذجا مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة .
- نصيرة زوزو، بنية الزمن في روايات شرفات الشمال لواسيني الأعرج، قسم الأدب العربي ، جامعة محمد خيضر بسكرة .
- هنية العوفي جوادي، تجلي الآخر بالتاريخ السياسي غداة الاستقلال، قراءة في أصابع لوليتا لواسيني الأعرج، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب، العدد 10.
- وردة سلطاني، النص بين سلطة الكاتب والقارئ، مجلة المخبر، وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، 2009.

6- الرسائل الجامعية :

- حسان راشدي، الرواية العربية الجزائرية، مرحلة التحولات 1988-2000، أطروحة دكتوراه في الأدب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، إشراف الدكتور يحي الشيخ صالح، 2000 .

- عمار بن زايد، الرواية العربية الجزائرية، عند نقاد الإتجاه الواقعي، أطروحة دكتوراه في النقد الأدبي،جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية، إشراف الدكتور عبد القادر هني، 2001 /2002 .
- هبة داودي، صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات، تيزي وزو، الجزائر.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

		الصفحة
الإهداء		
الشكر		
المقدمة		أ
المدخل		7
الفصل الأول	الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع	18
المبحث الأول	الرواية الجزائرية في فترة السبعينيات	19
	واقع الجزائر بعد فترة الاستقلال	22
	الرواية الجزائرية وواقع الجزائر في فترة السبعينيات	24
المبحث الثاني	الرواية الجزائرية في فترة الثمانينيات	31
	الرواية الجزائرية وواقع الجزائر في فترة الثمانينيات	32
المبحث الثالث	الرواية الجزائرية في فترة التسعينيات	39
	واقع الجزائر في فترة التسعينيات	39
	الرواية الجزائرية وواقع الجزائر في فترة التسعينيات	45
الفصل الثاني	الرواية الجزائرية وقضايا المجتمع	50
المبحث الأول	قضية المرأة في الرواية الجزائرية	51
	المرأة في الرواية الجزائرية	57
	صورة المرأة المجاهدة في الرواية الجزائرية	58
	صورة المرأة المناضلة في الرواية الجزائرية	62
المبحث الثاني	قضية المثقف في الرواية الجزائرية	65
	المثقف والمتطرف في الرواية	68

	الجزائرية	
	المثقف والسلطة في الرواية	
	الجزائرية	73
	قضية العنف بين السلطة والتطرف	
المبحث الثالث	في الرواية الجزائرية	76
	عنف السلطة في الرواية الجزائرية	78
	عنف المتطرف في الرواية	
	الجزائرية	81
	البنية السردية في	
الفصل الثالث	رواية القلاع المتآكلة	84
	ملخص رواية القلاع المتآكلة	85
	تحليل رواية القلاع المتآكلة	86
	بنية الشخصية في رواية القلاع	
المبحث الأول	المتآكلة	96
المبحث الثاني	بنية الزمن في رواية القلاع المتآكلة	104
	زمن القصة في رواية القلاع المتآكلة	104
	زمن الخطاب في رواية القلاع	
	المتآكلة	108
المبحث الثالث	بنية المكان في رواية القلاع المتآكلة	114
	الفضاء الروائي	114
	أنماط المكان في رواية القلاع	
	المتآكلة	116
الخاتمة		125
فهرس المصادر		
والمراجع		131
فهرس		
المحتويات		143